الإيمان
باليوم الآخر

تأليف

محمد بن إبراهيم العثمان

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤١هـ/٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيِّئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله؛ **أما بعد:**

فإنّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وبعد: فإن اليوم الآخِر هو يوم الجزاء والثواب، وهو يوم الخلود، لا يوم بعده، يقيمه الله عَزَّوَجَلَّ ليجزي الذين أحسنوا بالحسنىٰ، والذين أساءوا بما عملوا.

والإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ والإيمان باليوم الآخر متلازمان، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠] ، وقال تعالىٰ:

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣] .

وعقيدة المسلم في الإيمان باليوم الآخر يقينية؛ وذلك لتصديقه الجازم بحقائق ما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ به عن اليوم الآخر، واعتقاده بصدقه وتحققه لا محالة، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ﴾ [الحديد: ١٩] .

فبر القلوب بالإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ والعمل لليوم الآخر؛ هو حقيقة الدين كله، قال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧] .

وفي تعليم الرسول الملكي جبريل عليه الصلاة والسلام والرسول البشري محمد ﷺ للأمة حقائق الدين، قال جبريل: **ما الإيمان؟** فقال النبي ﷺ: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره**»، رواه البخاري ومسلم.

وجمل الاعتقاد بحقائق اليوم الآخر جاءت مفصلة في القرآن والسنة، وشرح مفردات وتفاصيل ذلك؛ واجب علىٰ العلماء وطلبة العلم، ليعتقد المسلمون حقائقه ويقصدوا عبادة الله بما شرع، فيكون سيرهم إلىٰ الدار الآخرة صحيحًا، بما يحصل به رضوان الله وإحسانه.

العقائد الباطلة والأعمال المبتدعة تضل عن صراط الله المستقيم، واللهو بالدنيا والغفلة عن عبودية الله عَزَّوَجَلَّ تقطع عن السير إلىٰ الله بما يرضيه، والعلوم النافعة والأعمال الصالحة تسير بالمسلم سيرًا حثيثًا إلىٰ منازل الآخرة.

الإيمان باليوم الآخر هو من الإيمان بالغيب، وتفاصيله وعلومه مرجعها إلىٰ الوحي، فمن صدَّق بها فهو مؤمن، ومن كذّب بها فهو كافر ملحد.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ

﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢٣].

جمل الاعتقاد في الإيمان باليوم الآخر دلَّ علىٰ حقائقها القرآن والسنة، وأجمع علىٰ الإيمان بها الصحابة رضي الله عنهم، فمن فارق إجماعهم فهو مشاق لهم وعيده النار، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

ومن لم يكن له علم بحقائق اليوم الآخر لم يكن عنده داع إلىٰ حسن العمل له، فالعلم باليوم الآخر سبب للعمل بما يرضي الله، فشرح عقيدة الإيمان باليوم الآخر ضرورة لكل مخلوق، وهداية لمن أراد الله به خيرًا.

فشرح حقائق اليوم الآخر من أسباب نجاة الناس من النار وفوزهم بالجنَّة، إذا عملوا لليوم الآخر، قال تعالىٰ: ﴿وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ﴾ [العنكبوت: ٣٦].

النبي ﷺ بيَّن لأمَّته علوم الصراط المستقيم، وما لسالكه عند الله من خيري الدنيا والآخرة، وما علىٰ الضال عنه من الضرر والعقاب العاجل والآجل[1].

حقيقة التوحيد والدين كله ترجع إلىٰ عبودية الله وحده بما شرع والعمل ليوم الحساب، قال تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

فالعلم بمقصود الخلق من أسباب العمل ليوم الحساب، فمن علم أن إلىٰ الله المنتهىٰ عمل بأسباب موافاته بما يرضيه.

أما من لا يرجو بعثًا ولا نشورًا ولا حسابًا؛ فني بمتاع الدنيا القليل عن عبودية الله والعمل لليوم الآخر.

---

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (ص٤٥).

والعلم بحقائق اليوم الآخر توجب علىٰ المسلم السعي في حسن عاقبته، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤] .

فمن علم أنّ الله ينصب الميزان يوم القيامة، واعتقد أنَّ الأعمال توزن فيه؛ سعىٰ في تثقيل موازينه بما يوجب رجحان حسناته ونجاته.

فتعليم الناس ما للسائرين إلىٰ الله باتباع صراطه المستقيم؛ من أولىٰ العلوم بالتدريس والتعليم.

وكتبه:

حمد بن إبراهيم العثمان

❁ ❁ ❁

عقيدة الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر هو من أركان الإيمان الستة، كما جاء في حديث جبريل، وأوَّل ما أُنزل إلىٰ رسول الله ﷺ من القرآن سورة «**اقرأ**»، الَّتي تضمنت الإيمان بالله واليوم الآخر، وذلك دالٌّ علىٰ أنَّه أساس التوحيد، وهما متلازمان، قال تعالىٰ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أول ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ رسوله ﷺ سورة «اقرأ»، ذكر فيها الإيمان بالله واليوم الآخر، وذكر فيها حالَ الإنسان بين مبدئه ومعاده المذموم وحاله الممدوح، فذكر حال الأشقياء والسعداء، إذ قوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ إلىٰ قوله: ﴿ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق: ١-٣] تقريرٌ للخلق والربوبية، كما بيَّناه في غير هذا الموضع. وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦، ٧]، وهو لحاله المذموم، وقوله: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾ [العلق: ٨] ذكرٌ للمعاد، وما بعد ذلك ذكر حال المؤمن وحاله مع الكافر».

وحقيقة الإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بكل ما يكون بعد الموت، من أمور البرزخ، وما يكون يوم القيامة من الأحوال والحساب والثواب للمحسن، والعقاب للمسيء

(١) جامع المسائل، المجموعة الثَّامنة (ص١٢٣، ١٢٤).

قال العلَّامة المجدِّد عبد الرَّحمن السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الإيمان باليوم الآخر، وهو الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله ﷺ بعد الموت من فتنة القبر ونعيمه وعذابه، وأحوال يوم القيامة وما يكون فيه، ومن صفات الجنَّة والنَّار، وصفات أهلهما.

فالإيمان باليوم الآخر هو الإيمان بذلك كله جملة وتفصيلًا».

الاعتقاد بما يكون من أحوال البرزخ والبعث والنشور وورود الحوض، والحساب وميزان الأعمال والمرور علىٰ الصِّراط، والمصير إلىٰ الجنَّة أو النَّار، حقٌّ أخبرنا الوحي به، وهو من الإيمان بالغيب الَّذي لا يصحُّ إسلام مخلوق إلا باعتقاده، قال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ١-٣].

والنَّبيُّ ﷺ بلَّغ عن الله دينه، وأوجب الله علينا الدينونة بما بلغنا من دينه، فقال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧].

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إذا لم نُقِرَّ بما جاء عن النَّبيِّ ﷺ ودفعناه؛ رددنا علىٰ الله أمره، قال الله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧]».

والمؤمنون كلهم يؤمنون بالله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ، ولا يكذبون الله ورسوله، ويصدقون أخبار الوحي ويعتقدون حقائقه.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني لُوَين[٣]، قال: قيل لابن عيينة: هذه الأحاديث التي تُروىٰ في الرُّؤية؟ قال: حقٌّ علىٰ ما سمعناها ممن نثق به ونرضاه[٤].

وعندما حدَّث النَّبيُّ ﷺ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بعذاب القبر؛ قال لهم: «**تعوَّذوا بالله**

---

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (ص٥٢).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٥٠٠).

(٣) لُوَين هو محمد بن سليمان، أبو جعفر الأسدي، ثقة.

(٤) السُّنَّة لعبد الله ابن الإمام أحمد (ص١٩٨- رقم ٤٠٥).

من عذاب القبر»، فتعوذوا من عذاب القبر، رواه مسلم من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فآمن الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بخبر النَّبيِّ ﷺ وامتثلوا أمره.

وكان اعتقاد الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بحقائق ما أخبر به النَّبيُّ ﷺ عن اليوم الآخر كأنه عين اليقين، قال حنظلة الأسيديُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا كنَّا عند رسول الله ﷺ، وحدَّثنا عن الجنَّة والنَّار، كأنَّا نراها رأي العين»، رواه مسلم.

وحدَّث يزيد بن هارون بحديث جرير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ في رؤية الله يوم القيامة، ثمَّ قال[1]: «من كذَّب بهذا الحديث فهو بريء من الله عَزَّوَجَلَّ، ومن رسول الله ﷺ».

وأئمَّة الهدىٰ كلهم يتلقَّون أحاديث النَّبيِّ ﷺ بالتصديق والقبول في كلِّ شيءٍ، خصوصًا في الاعتقاد، يؤمنون بما أخبر به ويعتقدونه.

قال أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن أبي زمنين الأندلسيُّ: أخبرني ابن وهب عن ابن وضاح، عن زهير بن عبَّاد؛ أنَّه قال: **كلُّ من أدركت من المشايخ**: مالك، وسفيان، وفضيل، وعيسىٰ بن يونس، وابن المبارك، ووكيع بن الجراح كانوا يقولون: الميزان حقٌّ[2].

وقد دلَّ علىٰ ما يكون في الآخرة من الحساب: الدليل السمعي من القرآن والسنَّة، والدليل العقليُّ كذلك.

والملاحدة يكفرون بالوحي، ولا يؤمنون إلَّا بالدليل الحسيِّ، وانتفاء الدليل المُعيَّن لا يدلُّ علىٰ انتفاء المدلول، ناهيك أنَّ الملاحدة قد غالطوا في نفي الدَّليل الحسيِّ علىٰ جملة من المسائل.

---

(١) السنَّة لعبد الله ابن الإمام أحمد (ص١٩٣ - رقم ٤٠٠).

(٢) أصول السنَّة (ص١٦٥).

قال العلَّامة المجدِّد عبد الرَّحمن السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «ملاحدةُ المادِّيين في حصرهم العلوم بمدركات الحِسِّ؛ فما أدركوه بحواسِّهم أثبتوه، وما لم يدركوه بها نفوه، ولو ثبت بطرق وبراهين أعظم بكثير وأوضح وأجلىٰ من مدركات الحِسِّ، وهذه فتنة وشبهة ضلَّ بها خلق كثير».

وحجِّيَّة الدَّليل السَّمعي علىٰ ثبوت ما يكون في البرزخ ويوم القيامة الخبر الصَّادق من ربِّ العالمين الذي قدَّر ذلك كلَّه وأقامه، فهو خبر يقين يورث الاعتقاد الجازم بحقائقه؛ قال شيخ المفسِّرين أبو جعفر الطَّبريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إن كان الخبر الوارد بذلك خبرًا تقوم به الحُجَّة مقام المشاهدة والسَّماع؛ وجبت الدينونة علىٰ سامعه بحقيقته في الشهادة عليه بأنَّ ذلك جاء به الخبر، نحو شهادته علىٰ حقيقة ما عاين وسمع».

ودين المعتزلة الذي كفروا به هو تكذيب خبر رسول الله ﷺ، خصوصًا فيما يجب اعتقاده من الإيمان باليوم الآخر.

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «المعتزلة فهم يكذِّبون: بعذاب القبر، وبالحوض، وبالشفاعة».

وتكذيب خبر الله عَزَّوَجَلَّ وخبر رسوله ﷺ لا يقع من مسلم، وإنَّما يقع من كافر زنديق؛ فالله عَزَّوَجَلَّ قوله حقٌّ وكلماته صدق، قال تعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]؛ صدق في الأخبار، وعدل في الأحكام، فالموفَّق هو الَّذي يعتصم بالكتاب والسُّنَّة من ضلالات المبتدعة الكافرين المكذِّبين، قال

(١) سؤال وجواب في أهمِّ المهمَّات (ص٢٩).

(٢) التبصير في معالم الدِّين (ص: ١٣٩).

(٣) الكتاب اللَّطيف لشرح مذاهب أهل السُّنَّة (ص٩٢).

تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

وما يكون في الدار الآخرة من كرامة ورود حوض النَّبيِّ ﷺ، وحساب الله لخلقه، ووزن الأعمال، والمرور علىٰ الصِّراط وغيره؛ فهو إلىٰ الله، ليس للمعتزلة منه شيء؛ فما أضلّ وأجهل من تلقي ضلالهم بالتصديق، وهدىٰ الله بالتكذيب.

قال العلَّامة أبو عبد الله عبيد الله بن بطة العُكبري (ت: ٣٨٧ هـ) فيما يجب علىٰ المسلم اعتقاده[(١)]: أنه: «مبعوث من بعد الموت، فريضة لازمة، من أنكر ذلك كان به كافرًا، قال النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّكم تحشرون من قبوركم حفاة عراة غرلًا**»، وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ [المعارج: ٤٣]، فمن كذَّب بآية أو بحرف من القرآن، أو ردَّ شيئًا مما جاء به رسول الله ﷺ؛ فهو كافر».

وقال العلَّامة حرب بن إسماعيل الكرمانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠ هـ) فيما أجمعت عليه الأمَّة في الاعتقاد من طبقة الصَّحابة إلىٰ طبقته[(٢)]: «عذاب القبر حقٌّ، يُسأل العبد عن ربِّه، وعن نبيِّه، وعن دينه، ويُرىٰ مقعده من الجنَّة أو النَّار.

ومنكر ونكير حقٌّ، وهما فتانا القبور، نسأل الله الثبات.

وحوض محمَّد ﷺ حقٌّ، حوض تَرِدُ عليه أُمَّتُهُ، وله آنية يشربون بها منه.

والصِّراط حقٌّ، يوضع علىٰ سواء جهنَّم، فيمرُّ الناس عليه، والجنَّة من وراء ذلك، نسأل الله السلامة والجواز.

والميزان حقٌّ، توزن به الحسنات والسيِّئات، كما شاء الله أن تُوزن به.

والصور حقٌّ، ينفخ فيه إسرافيل، فيموت الخلق، ثمَّ ينفخ فيه الأخرىٰ، فيقومون لربِّ العالمين للحساب، وفصل القضاء، والثَّواب والعقاب، والجنَّة والنَّار».

---

(١) الصَّفدية (٢/ ٣٢٨).

(٢) إجماع السَّلف في الاعتقاد (ص٤٩-٥١).

المبتدعة الضالون المكذِّبون لأخبار الوحي، لهم وعيد شديد لظلمهم بتكذيب أخبار الله.

قال تعالىٰ: ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢].

والمكذِّبون بحقائق ما أخبر الله به في اليوم الآخر لهم عذاب أليم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: ١٠].

ومن كذَّب بكلمات الله عَزَّوَجَلَّ، وكذَّب بأحاديث رسوله ﷺ لم يكن من المؤمنين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «المؤمن إنَّما فارق الكفر بالإيمان بالله وبرسله، وبتصديقهم فيما أخبروا، وطاعتهم فيما أمروا».

وقد انعقد الإجماع علىٰ الإيمان باليوم الآخر، وما يكون فيه من الحساب والأحوال والكرامات.

قال أبو حاتم وأبو زرعة الرَّازيان رحمهما الله[2]: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار - حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا - فكان من مذهبهم:

الصِّراط حقٌّ.

والميزان حقٌّ، له كفَّتان، توزن فيه أعمال العباد حسنها وسيِّئها، حقٌّ.

والحوض المكرم به نبيُّنا ﷺ حقٌّ.

والشفاعة حقٌّ.

والبعث من بعد الموت حقٌّ».

---

(١) الاستقامة (٢/ ١٧٩).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٢/ ١٩٨، ١٩٩).

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٧١ هـ) عن اعتقاد كافَّة الموحِّدين**[(١)]: «يقولون: إنَّ الله يُخرج من النَّار قومًا من أهل التوحيد بشفاعة الشافعين، وأنَّ الشفاعة حقٌّ، والحوض حقٌّ، والمعاد حقٌّ، والحساب حقٌّ».

ومن لم يؤمن بعذاب القبر ونعيمه، وحوض النَّبيِّ ﷺ، والميزان، والصِّراط، أو لم يؤمن بشيء من ذلك؛ فهو كافرٌ غير مؤمنٍ باليوم الآخر.

قال العلَّامة المجدِّد عبد الرَّحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «كلُّ ما جاء في الكتاب والسُّنَّة ممَّا يكون بعد الموت، فإنه داخل في الإيمان باليوم الآخر؛ كأحوال القبر والبرزخ ونعيمه وعذابه، وأحوال القيامة وما فيها من الحساب والثَّواب والعقاب، والصحف، والميزان، والشَّفاعة، وأحوال الجنَّة والنَّار وصفاتها وصفات أهلها، وما أعدَّ الله فيهما لأهلهما إجمالًا وتفصيلًا، كلُّ ذلك من الإيمان باليوم الآخر».

ولا يتحقَّق إيمان مسلم حتىٰ يحقِّقَ الشهادتين، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**لا يؤمن عبد حتىٰ يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأنِّي رسول الله، بعثني بالحقِّ، ويؤمن بالموت، وبالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر**»، رواه الترمذي وصححه الحاكم.

حقيقة الإسلام تصديق خبر الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ والانقياد لأمرهما ونهيهما، قال موسىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٨].

---

(١) اعتقاد أئمة الحديث (ص: ٦٨).

(٢) سؤال وجواب في أهمِّ المهمَّات (ص١٥).

قال شيخ المفسِّرين أبو جعفر محمَّد بن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣١٠ هـ)**[١]: «إن الإسلام اسمٌ للخضوع والإذعان، فكلُّ مُذْعِنٍ لحكم الإسلام ممَّن وحَّد الله وصَدَّق رسوله ﷺ بما جاء به من عنده؛ فهو مسلم».

وحجة الله عَزَّوَجَلَّ قد قامت علىٰ خلقه ببيان رسله عليهم الصلاة والسلام، قال تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

والنَّبي ﷺ حدَّث مرَّةً بحديث، ثمَّ قال: «**أنا أؤمن بهذا وأبو بكر وعمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»، رواه البخاريُّ ومسلم، فمفهومه أن المؤمنين يُصدِّقون خبر رسول الله ﷺ، ولا يُكذِّبونه.

وقال الله عَزَّوَجَلَّ في نعت الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، والمؤمن يؤمن بما صدَّق به الصَّحابة الصَّادقون من أخبار رسول الله ﷺ.

والصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ احتجُّوا بأخبار رسول الله ﷺ في الرد علىٰ من أنكر ما يكون في الدار الآخرة من الكرامات والأهوال والأحوال والحساب.

فقد أنكر الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ عبيد الله بن زياد تكذيبه بالحوض.

وتكذيب عبيد الله بن زياد للحوض استمرَّ به حتىٰ بعد تحديث الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ له بالأحاديث في ذلك.

قال أبو سبرة الهذلي: كان عبيد الله بن زياد يكذِّب بالحوض، بعدما سأل عنه: أبا برزة، والبراء بن عازب، وعائذ بن عمرو، ورجلًا آخر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[٢].

---

(١) التبصير في معالم الدين (ص١٨٣).

(٢) السُّنَّة لابن أبي عاصم (ص٢٨٦).

وكان الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يدعون علىٰ من كذَّب بالحوض أن لا يَرِدَهُ يوم القيامة.

قال أبو برزة الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]: «من كذّب به فلا سقاه الله منه».

ولا يتحقق الإيمان إلا بتصديق الله في أخباره؛ فمن كذّب بشيء منها كان كافرًا، ومن صدّقها واعتقدها وعمل بموجبها كان مؤمنًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ [الحديد: ١٩].

المسلم يتلقىٰ دينه من الوحي الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وإنما يكذِّب بآيات الله الكافرون، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

المسلم يتلقىٰ دينه عن الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين تلقوا الدين من المُبَلِّغ عن الله، رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيأخذه صافيًا من كدر الشرك والبدع.

والله عَزَّوَجَلَّ جعل رضاه في اتباع الصَّحابة بإحسان، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

والصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تلقوا أخبار النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتصديق، وكانوا أكمل عقولًا من الجهمية والمعتزلة والخوارج.

كان الصَّحابي يُحدِّث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موقنًا بصدقه، ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّادق المَصْدوقُ.

قال العلَّامة أبو محمد الحسن بن علي البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٢٩ هـ)**

---

(١) رواه أبوداود، كتاب السنة، باب في الحوض (رقم ٤٧٤٩).

فيما يكفر به المرء[(١)]: «لا يخرج أحد من أهل القبلة من الإسلام حتىٰ يَرُدَّ آية من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، أو يَرُدَّ شيئًا من آثار رسول الله ﷺ، أو يذبح لغير الله، أو يصلي لغير الله، فإذا فعل شيئًا من ذلك؛ فقد وجب عليك أن تُخرجه من الإسلام»[(٢)].

وقال البربهاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «إذا سمعت الرجل يطعن علىٰ الآثار ولا يقبلها، أو يُنكر شيئًا من أخبار رسول الله ﷺ، فاتَّهمه علىٰ الإسلام؛ فإنَّه رجل رديء القول والمذهب، وإنَّما طعن علىٰ رسول الله ﷺ وأصحابه».

والمسلمون يشهدون أنَّ محمدًا رسول الله ﷺ وأمينه علىٰ وحيه، وأنه لا ينطق عن الهوىٰ ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾ [النجم: ٤]، وأنَّه بُعث إلىٰ الناس كافَّة ليهديهم للعلم النافع والعمل الصالح، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

فتحقيق شهادة أنَّ محمدًا رسول الله ﷺ يكون بتصديق خبره والانقياد لأمره ونهيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «إنَّه إذا ثبتت الرسالة ثبت ما أخبر به الرسول ﷺ مما ينكره بعض أهل البدع؛ كعذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، وكالصِّراط، والشفاعة، والحوض، ونحو ذلك مما استفاضت به الأحاديث الصحيحة عن النَّبي ﷺ».

---

(١) شرح السُّنَّة (ص٧٩).

(٢) هذه بعض نواقض الإسلام، وليس كلها، وقد يسر الله لي شرح نواقض الإسلام لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب.

(٣) شرح السُّنَّة (ص٨٧).

(٤) شرح الأصبهانيَّة (ص٧٢٤).

وكل من توهم في أحوال الآخرة امتناعه؛ لأنه خلاف المعهود في الدنيا، أو أنّه فوق المعتاد مما لم يُعهد في الدنيا؛ فنقول له: إنَّ العظيم لا يعجزه شيء أبدًا، فمن يطوي السموات كطي السجل للكتب لا يعجزه شيء من غير المعهود في قدرة أو تخيُّل البشر.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله! يُحشر الكافر علىٰ وجهه يوم القيامة؟ قال: «**أليس الذي أمشاه علىٰ رجليه في الدنيا قادرًا علىٰ أن يمشيه علىٰ وجهه يوم القيامة**»، رواه البخاري ومسلم.

وقد كذبت المبتدعة بحقائق ما أخبر به الوحي مما يكون في الدار الآخرة، من ذلك تكذيبهم بالميزان.

قال العلَّامة يحيىٰ بن أبي الخير العمراني الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت ٥٥٨ هـ)**[1]: «عند أهل الحديث أن الحسنات والسيئات للموحدين توزن بميزان يوم القيامة، وأن الصِّراط حق، وأن حوض النَّبي ﷺ حق.

وأنكرت المعتزلة والقدرية وأهل الزيغ ذلك كله.

والدليل علىٰ الميزان قوله تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: ٦-٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨].

---

(١) الانتصار في الرد علىٰ المعتزلة القدرية الأشرار (٣/ ٧٢٠، ٧٢١).

وروىٰ أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي ﷺ قال: «كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلىٰ الرَّحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[(١)].

وأنكرت المبتدعة الشفاعة في الدار الآخرة، والشفاعة ثابتة بالكتاب والسُّنَّة والإجماع؛ قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النَّبي ﷺ: «**يقول الله تعالىٰ: شفعت الملائكة، وشفع النَّبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين**»، متفق عليه.

قال العلَّامة ابن أبي العزِّ الحنفيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «شفاعته ﷺ في أهل الكبائر من أمَّته، ممَّن دخل النَّار، فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث، وقد خَفِيَ عِلْمُ ذلك علىٰ الخوارج والمعتزلة، فخالفوا في ذلك، جهلًا منهم بصحَّة الأحاديث، وعِنادًا ممَّن عَلِمَ ذلك، واستمرَّ علىٰ بدعته».

وكذَّبت المبتدعة بالحوض، وهو ثابت بالكتاب والسُّنَّة والإجماع، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، والكوثر نهر في الجنَّة، وهو مادة الحوض، يمدُّ الحوض بمائه.

والأحاديث بثبوت الحوض وصفته واردة من رواية ثمانين صحابيًّا[(٣)].

قال الحافظ ابن عبد البر القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «الأحاديث في حوضه ﷺ

---

(١) متفق عليه.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٩٠).

(٣) فتح الباري (١١/ ٤٦٩).

(٤) التمهيد (٢/ ٢٩١).

متواترة صحيحة ثابتة كثيرة، والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب، والإقرار به عند الجماعة لازم، وقد نفاه أهل البدع من الخوارج والمعتزلة، وأهل الحقِّ علىٰ التَّصديق بما جاء عنه في ذلك ﷺ».

والعقل لا ينفي ثبوت الحوض، بل يدل عليه؛ فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ عدل، يجازي بالإحسان فضلًا وإحسانًا، فيجزي من ورد شرعته في الدُّنيا بأن يورده الحوض فيشرب منه هنيئًا مريئًا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «نصب - الله - للمؤمنين حوضًا يشربون منه بإزاء شربهم من شرعه في الدنيا، وحرم من الشرب منه هناك من حرم نفسه من الشرب من شرعه ودينه هاهنا».

وأنت إذا تأملت عقائد الفرق المبتدعة، وجدتها قد كذَّبت بما جاء به القرآن والسُّنَّة، وابتدعت ما ليس في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ولا سنَّة رسول الله ﷺ؛ فهم أهل أهواء لا يأتمون بالكتاب والسُّنَّة، ويقولون في دين الله ما لم يُنزِّل به سلطانًا، وما ليس لهم به علم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قد تكلَّم أهل البدع معهم - الكفَّار - في مسألة حدوث العالم والمعاد والصِّفات والنُّبوَّات، بما أضافوا إلىٰ دين المسلمين من الأقوال التي ليست في كتاب الله، ولا في حديث عن رسول الله، ولا قالها أحد من الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان، ولا أحد من أئمَّة المسلمين، وإنما هي مأخوذة عن أهل الكلام المبتدع المحدَث المذموم عند السَّلف

(١) الجواب الكافي (ص١٥٩).

(٢) الصَّفدية (٢/ ٣٢٨).

والأئمَّة، الذي أصله مأخوذ عن الجهمية والمعتزلة».

العقل علمه محدود بما يدركه، وما غاب عنه لا يمكنه نفيه، ولا القول فيه بغير علم، قال تعالىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس: ٣٩].

العقل شهد بصحَّة الشرع، وأنَّ علومه بالنسبة إليه لا شيء، فتكذيب أخبار وعلوم الوحي قدح في العقل الذي شهد بصحة الوحي.

وما يتوهم معارضته للعقل من نصوص الوحي؛ تجده معقولات ضالَّة غير صريحة، ومن رُزق حسن الفهم عن الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ؛ أدرك أن العقل الصَّريح يوافق النقل الصَّحيح، لا يخالفه.

قال العلَّامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «لا يُتصوَّرُ أن يتعارض عقل صريح ونقل صحيح أبدًا».

الشيطان يُلقي في نفوس أوليائه وساوسه، فيتلقاها المبتدع بالقبول لإعراضه عن الاهتداء بالقرآن والسُّنَّة، فيكون ذلك سببًا لضلاله وإضلاله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠].

قال العلَّامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «الواجب كمال التسليم للرسول ﷺ، والانقياد لأمره، وتلقِّي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يُعارِضَه بخيال باطل يسمِّيه معقولًا».

العقل الصريح يوافق النقل الصحيح، ولذلك أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بالتدبُّر في آياته الشرعية والكونية؛ ليتبين لنا ما في الآيات الكونية مما يدلُّ علىٰ صحَّة الآيات الشرعية.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٢٧).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٢٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «دعا الله الخلق إلىٰ الاعتبار بالعقل المستند إلىٰ الحسِّ، وبيَّن أنَّ ذلك موافق لما جاءت به الرسل من السمع، قال ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]، فأخبر أنَّه سيُرِي الخلق من الآيات الأفقية والنفسية ما يبين أن القرآن حقٌّ، فيتطابق السمع المنقول وما عُرف بالحس المعقول».

والوحي من القرآن والسُّنَّة بيَّن أنواعًا من العلوم العقلية الصحيحة التي تعتضد في بيان الحقائق الشرعية، وضرب أنواعًا من الأمثلة في المحسوسات الدالة علىٰ حقائق ما أخبر الله به من أمور الغيب.

قال العلَّامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٧٩٣ هـ)**[2]: «أما ما يخبرُ به الرسول ﷺ من الأمور الغائبة، فقد يكون مما أدركوا نظيره بحسهم وعقلهم؛ كإخبارهم بأن الريح أهلكت عادًا؛ فإن عادًا من جنسهم، والريح من جنس ريحهم، وإن كانت أشد. وكذلك غَرَقُ فرعون في البحر، وكذا بقية الأخبار عن الأمم الماضية، ولهذا كان الإخبار بذلك فيه عِبْرَةٌ لنا، كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ﴾ [يوسف: ١١١].

وقد يكون الذي يُخبر به الرسول ﷺ ما لم يُدركوا مثله الموافق له في الحقيقة من كل وجه، لكن في مفرداته ما يُشْبِهُ مفرداتهم من بعض الوجوه، كما إذا أخبرهم عن الأمور الغيبية المتعلقة بالله واليوم الآخر؛ فلا بد أن يعلموا معنًىٰ مشتركًا وشبهًا بين مفردات تلك الألفاظ وبين مفردات ألفاظ ما علموه في الدُّنيا

(١) الصفدية (١/ ٢٢٧).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٦٦، ٦٧).

بحسِّهم وعقلهم».

ومن أمثلة ما يدرك الحسُّ والعقل نظيره من الغيب ممَّا يشاهده الإنسان النوم؛ فإنَّه يدلُّ علىٰ الموت والبعث والنشور بعده.

قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

قال العلَّامة ابن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «يكون مستدلًّا بنومه علىٰ موته، وبيقظته علىٰ بعثه».

فالواجب علىٰ المبتدعة الاهتداء بالوحي، والاستشفاء بحقائق القرآن؛ فإن ذلك من أسباب الهداية للحقِّ.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

قال العلَّامة محمد خليل هراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «الإيمان باليوم الآخر أحد الأركان الستة التي يقوم عليها الإيمان؛ فإن الإيمان به إيمانًا تامًّا كاملًا لا يتحقق إلَّا إذا آمن العبد بكل ما أخبر به النَّبيُّ ﷺ من أمور الغيب التي تكون بعد الموت».

وقال شيخنا العلَّامة محمَّد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «كل ما أخبر الصادق بوقوعه فإنَّه يجب الإيمان بوقوعه كما أخبر؛ لأن الصادق لا يمكن أن يُخبر بوقوع مستحيل».

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (١/ ٣٦٧).

(٢) شرح العقيدة الواسطية بتعليق العلَّامة العثيمين (ص٢٢٦).

(٣) شرح العقيدة الواسطية بتعليق العلَّامة العثيمين (ص٢٢٦).

المؤمنون إذا تلوا آيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ في كل شيء، خصوصًا في الأمور الغيبية عن أحوال الآخرة؛ ازدادوا إيمانًا، وإنَّما يرتاب منها ويُكذِّب بها الكفار وأشباههم من المعتزلة.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١].

والكفار إذا عاينوا حقائق ما أخبر الله به عن اليوم الآخر؛ استجابوا مسارعين إلىٰ الداعي حيث أمر، وحينئذ تبين ضلال تكذيبهم وسوء عاقبتهم.

قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ﴾ [طه: ١٠٨] أي: يوم يرون هذه الأحوال والأهوال يستجيبون مسارعين إلىٰ الداعي حيثما أُمروا بادروا إليه، ولو كان هذا في الدُّنيا لكان أنفع لهم، ولكن حيث لا ينفعهم».

حقيقة عقائد المعتزلة وأشباههم التكذيب باليوم الآخر، قال تعالىٰ: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ [التين: ٧]، فما المكذب بما أخبر الله به عن اليوم الآخر إلا ظالم جاهل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «هذا تحقير لشأنه وتصغير لقدره لجهله وظلمه».

قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [يونس: ٩٤].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٣٠٩).

(٢) الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٧/ ٧٨).

زاغ المعتزلة بسبب فساد عقولهم، فأنكروا ما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ عما يكون في الدار الآخرة، وحقائق الغيب نصدِّق فيها رب العالمين ورسوله الأمين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الليل: ١٢، ١٣].

المعتزلة كذبوا بالإيمان باليوم الآخر، قال تعالىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ [يونس: ٣٩].

وتكذيب المعتزلة بحقائق اليوم الآخر هو من فروع تكذيبهم بصفات الله، فإنَّ من آمن بأنَّ الله إذا أراد شيئًا فإنما يقول له: كن، فيكون، لا ينكر شيئًا مما أخبرنا الله به عما يكون في اليوم الآخر.

والعقل الصريح يوافق النقل الصحيح، لا يخالفه، قال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧].

قال العلَّامة المجدِّد عبد الرَّحمن السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾: بالوحي الذي أنزل الله فيه المسائل المهمَّة ودلائلها الظاهرة، فتيقَّن تلك البيِّنة ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ أي: يتلو هذه البينة والبرهان برهان آخر، ﴿شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾: وهو شاهد الفطرة المستقيمة والعقل الصحيح، حين شهد حقيقة ما أوحاه الله وشرعه، وعَلِمَ بعقله حسنه؛ فازداد بذلك إيمانًا إلىٰ إيمانه».

تكذيب الوحي هو دين الكافرين، فكانوا لجهلهم يُكذِّبون الوحي ويعارضونه.

قال أبو عمرو الزجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «كان الناس في الجاهلية يتبعون ما تستحسنه عقولهم وطبائعهم، فجاء النَّبيُّ ﷺ فردَّهم إلىٰ الشريعة والاتِّباع؛ فالعقل الصحيح الذي يستحسن ما يستحسنه الشرع، ويستقبح ما استقبحه».

(١) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٤٢٥).

(٢) الاعتصام (١/ ١٥٧).

ومن أمثلة ما يدركه العقل والحسُّ مما يدلُّ علىٰ صدق الوحي وحقائق ما أخبر الله به عَزَّوَجَلَّ عن الدار الآخرة: حياة القلوب بعد موتها؛ فإنَّها تدلُّ علىٰ حياة النفوس وبعثها بعد موتها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [يس: ١٢]، أي يوم القيامة، وفيه إشارة إلىٰ أنَّ الله تعالىٰ يحيي قلب من يشاء من الكفار، الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة، فيهديهم بعد ذلك إلىٰ الحقِّ، كما قال تعالىٰ بعد ذكر قسوة القلوب: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد: ١٧]».

ويدرك العقل والحسُّ مرور الخلق علىٰ الصِّراط، وهو جسر علىٰ النَّار، فالذي يضع السماء علىٰ إصبع، والأرضين علىٰ إصبع، والجبال علىٰ إصبع، كما جاء في الصحيحين من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والذي يطوي السماء كطي السجل للكتب، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]؛ لا يعجزه إمرار خلقه علىٰ الصِّراط.

ونحن في دنيانا رأينا المخلوق الضعيف يجعل حبلًا في موضع مرتفع، ثمَّ يبعث عليه من يسير عليه ويجوزه، فالله أقدر وأمكن.

وقال تعالىٰ مبينًا حكمة نصب الصِّراط علىٰ جهنَّم وما يقع يوم القيامة من الأهوال: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١] إخافة وعقوبة من أساء في الدنيا، وإكرام من أحسن في الدنيا.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٢٩).

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «جنَّة الله غالية عالية، بين النَّاس وبينها من العقبات والمفاوز والأخطار ما لا تُنال إلَّا به».

نصوص الوحي في الإيمان باليوم الآخر دل علىٰ صدقها العقل.

فالإيمان بالميزان من الإيمان بالغيب، وقد استظهر العلماء الحكمة في نصب الميزان، من ذلك امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدُّنيا، وإقامة الحُجَّةِ علىٰ الخلائق بحسابهم بأعمالهم ووزنها بالحقِّ، وإظهارًا لعدل الله وفضله، حيث إنَّه تعالىٰ يزن مثاقيل الذَّرِّ من الأعمال، ويُرْبي الحسنات لصاحبها ويُضَاعِفُهَا[٢].

وكذلك الإيمان بالحوض دلَّ عليه العقل، فإنَّ ورود الحوض هو من الجزاء والثواب الذي أعدَّه الله لعباده المؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢٤].

والمعقول في أفهام المسلمين وما تدركه حواسُّهم أنَّ يوم القيامة يوم الثواب للمؤمنين، وأنَّ الشرب من الحوض هو أول ما يُكرم الله به عباده المؤمنين، إذا قام الناس من قبورهم لربِّ العالمين، فإذا وفد أهل الكرامة علىٰ ملك الملوك كان سقيهم من الحوض أول ضيافتهم.

قال العلَّامة محمد بن يحيىٰ بن هُبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «يجب الإيمان بالحوض، فإنه ممَّا أكرم الله به نبيَّه ﷺ ليسقي منه يوم العطش الأكبر، فهو أول ضيافاته في الآخرة».

---

(١) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ١٠٤).

(٢) منهاج السلامة في ميزان يوم القيامة (ص١١٩-١٢٠)، شرح الطحاوية (٢/ ٦١٣)، تحقيق البرهان في إثبات الميزان (ص٦٥).

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/ ١٤٠).

وعقول الأسوياء تُصدِّق بالميزان وتؤمن به، وتوقن بأنَّه ميزان حقيقي يظهر به كمال عدل الله عَزَّوَجَلَّ.

قال العلَّامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «علينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق ﷺ، من غير زيادة ولا نقصان.

ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلىٰ الميزان إلَّا البقال والفوَّال!! وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنًا.

ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده؛ فإنه لا أحدَ أحبّ إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين. فكيف ووراء ذلك من الحِكَم ما لا اطلاع لنا عليه؛ فتأمَّل قول الملائكة، لمَّا قال الله لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]».

وكل ما لا يحيط العقل بعلمه، خصوصًا أمور الغيب؛ فإن واجبه السكوت عما لا يعلمه، وتلقي علم ذلك من العليم الخبير، الذي أحاط بكل شيء علمًا.

كان النَّبيُّ ﷺ وهو أعلم الخلق بالله لا يتكلم في أمور الغيب إلا عن نصٍّ وتوقيف بما أُوحي إليه، من ذلك قوله ﷺ: «**أُذِن لي أن أُحدث عن مَلك من ملائكة الله** عَزَّوَجَلَّ، **من حملة العرش: أنَّ ما بين شحمة أذنه إلىٰ عاتقه مسيرة سبعمائة عام**»، رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٧٥).

قال العلَّامة أبو القاسم إسماعيل بن محمَّد الأصبهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٣٥ هـ)**[(١)]: «إِنَّمَا قَول أهل السُّنة: إِنَّ مَا لَا يُدْرِكهُ الْعَقل فَمن حَقه التَّوْقِيف، وتفويض علمه إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ، وَترك الْخَوْض فِيهِ، وَلَا نقُول: إِنَّه يعرض علىٰ ميزَان الْعُقُول فَإِن استقام قُبل، وَإِلَّا طرح؛ فَهَذَا مَذْهَب من يَبْنِي دينه عَلَىٰ الْمَعْقُول.

فَأَمَّا من جعل أساس دينه الِاتِّبَاع فَإِنَّمَا طَرِيقه مَا بَيَّنَّاهُ».

تاه المبتدعة في ضلالات العقائد الزائغة، بسبب تَنَكُّبِهِمْ عن تصديق أخبار الوحي، وصاروا يخوضون في الإيمان باليوم الآخر بالجهل والضلال، وكان تصديق المسلمين لأخبار الوحي من أسباب هدايتهم للحق، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

قال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «من رغب عن أنباء النُّبُوَّة - يَعْنِي أَحَادِيث النَّبِي ﷺ - فقد تقطَّعت من بَين يَدَيْهِ أَسبَاب الْهُدىٰ، وَلَقي حجَّته فتنته، وَتلك أبلغ الشرور فِي الْقُلُوب عُقُوبَة».

الناس في تحذيرهم من عقائد المعتزلة الضالة، يذكرون أصولهم في التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر.

وعقائد المعتزلة في الإيمان باليوم الآخر أشدُّ ضلالًا، وأعظم كفرًا، فإنها في حقيقتها تكذيب لأخبار الوحي.

ومن تأمل مقالات المبتدعة خصوصًا المعتزلة في مسائل الإيمان باليوم

---

(١) الحُجَّة في بيان المَحَجَّة (٢/ ٤٨).

(٢) الحُجَّة في بيان المَحَجَّة (٢/ ٣٢٥).

الآخر وحقائقه، وجدها تكذيبًا وكفرًا بالوحي الذي نبأنا الله من أخبار اليوم العظيم.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٤].

قال العلَّامة أبو المظفَّر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن الله أَبىٰ أَن يكون الْحَق والعقيدة الصحيحة إِلَّا مَعَ أهل الحَدِيث والْآثَار؛ لأَنهم أخذُوا دينهم وعقائدهم خلفًا عَن سلف، وقرنًا عَن قرن، إِلَىٰ أَن انْتَهوا إِلَىٰ التَّابِعين، وَأَخذه التابعون من أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ، وَأَخذه أَصْحَاب رَسُول الله ﷺ عَن رَسُول الله ﷺ، وَلَا طَرِيق إِلَىٰ معرفَة مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُول الله ﷺ النَّاس من الدِّين الْمُسْتَقيم، والصِّراط القويم، إِلَّا هَذَا الطَّرِيق الَّذِي سلكه أَصْحَاب الحَدِيث، وَأما سَائِر الْفرق فطلبوا الدِّين لَا بطريقه؛ لأَنهم رجعُوا إِلَىٰ معقولهم، وخواطرهم، وآرائهم، فطلبوا الدّين من قبله، فَإِذا سمعُوا شَيْئًا من الْكتاب وَالسُّنة، عرضوه عَلَىٰ معيار عُقُولهمْ؛ فَإِن استقام قبلوه، وَإِن لم يستقم فِي ميزَان عُقُولهمْ ردُّوهُ، فَإِن اضطروا إِلَىٰ قبُوله؛ حرفوه بالتأويلات الْبَعِيدَة[2]، والمعاني المستكرهة، فحادوا عَن الْحق وزاغوا عَنهُ، ونبذوا الدِّين وَرَاء ظُهُورهمْ، وَجعلُوا السُّنة تَحت أَقْدَامهم، تَعَالَىٰ الله عَمَّا يصفونَ.

وَأما أهل الْحق فَجَعَلُوا الْكتاب وَالسُّنة إمَامهمْ، وطلبوا الدِّين من قبلهمَا، وَمَا وَقع لَهُم من معقولهم وخواطرهم، عرضوه عَلَىٰ الْكتاب وَالسُّنة؛ فَإِن وجدوه مُوَافقًا لَهما قبلوه، وشكروا الله حَيْثُ أَرَاهُم ذَلِكَ ووفقهم إِلَيْهِ، وَإِن وجدوه مُخَالفًا لَهُمَا؛ تركُوا مَا وَقع لَهُم، وَأَقْبَلُوا عَلَىٰ الْكتاب وَالسُّنة، وَرَجَعُوا

(١) الحُجَّة في بيان المَحَجَّة (٢/ ٢٢٤، ٢٢٥).

(٢) كل أو معظم تأويلات المعتزلة تكذيب لأخبار الوحي، فهي تحريفات وتكذيب للوحي.

بالتهمة عَلَىٰ أنفسهم؛ فَإِن الْكتاب وَالسُّنة لَا يهديان إِلَّا إِلَىٰ الْحق، ورأي الْإِنْسَان قد يرىٰ الْحق، وَقد يرىٰ الْبَاطِل، وَهَذَا معنىٰ قَول أَبِي سُلَيْمَان الدَّارَانِي: وَهُوَ وَاحِد زَمَانه فِي الْمعرفَة: مَا حَدَّثتنِي نَفسِي بِشَيْء إِلَّا طلبت مِنْهَا شَاهِدين من الْكتاب وَالسُّنة؛ فَإِن أَتَت بهما، وَإِلَّا رَددته فِي نحرها».

وتكذيب المبتدعة بحقائق ما يكون في اليوم الآخر؛ هو تكذيب للإيمان بالرسول ﷺ واليوم الآخر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الإيمان بالله سبحانه وبرسله وباليوم الآخر، ولا ريب أن هذه الأصول الثلاثة هي أصول الإيمان الخَبَرِيَّة العِلْمية، وهي جميعها داخلة في كل مِلَّة، وفي إرسال كل رسول؛ فجميع الرسل اتفقت عليها».

والجنَّة إنَّما يدخلها من آمن بالله عَزَّوَجَلَّ وصدَّق المرسلين، ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أهل الجنَّة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدُّرِّي الغابر من الأفق: من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم**» قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: «**بلىٰ، والَّذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين**».

وخَلْق الإنسان فيه أعظم موعظة ودليل علىٰ ما يكون من الغيب من البعث وأمور الآخرة.

قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ

(١) شرح الأصبهانيَّة (ص٧١٦).

وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس: ٧٧-٧٩].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]؛ أي: استبعد إعادة الله تعالىٰ، ذي القدرة العظيمة الَّتي خلقت السموات والأرض، للأجسام والعظام الرميمة، ونسي نفسه، وأنَّ الله تعالىٰ خلقه من العدم إلىٰ الوجود؛ فعلم من نفسه ما هو أعظم ممَّا استبعده وأنكره وجحده، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]؛ أي: يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها، أين ذهبت، وأين تفرقت وتمزَّقتْ».

ومن أمثلة تقريب الغيب بالمعلوم المحسوس قول النَّبي ﷺ: «**إن شدة الحر من فيح جهنَّم**»، متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «جعل الله تعالىٰ ما في الدُّنيا من شدة الحرِّ والبرد مُذكِّرًا بحرِّ جهنَّمَ وبردها ودليلًا عليها».

وعن ابن جمرة الضُّبَعِيِّ قال: كنت أجالس ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بمكَّة، فأخذتني الحُمَّىٰ، فقال: أَبْرِدْها عنك بماء زمزم، فإن رسول الله ﷺ قال: «**إن الحمىٰ من فيح جهنَّم، فأبردوها بالماء**، أو قال: **بماء زمزم**» رواه البخاري.

وفي الصَّحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبي ﷺ قال: «**اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَىٰ رَبِّهَا، فقالت: يا رَبِّ! أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا؛ فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ؛ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ؛ فَهُوَ أَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ**».

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٥٩).

(٢) فتح الباري (٤/ ٢٤٥).

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ متحدِّثًا عن نماذج ممَّا أرانا الله من جنة ونار الآخرة[1]: «وقد أشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار آثارًا من آثار الجنَّة، وأنموذجًا منها: من الرائحة الطيبة، واللذات المُشْتهاة، والمناظر البهيَّة، والفاكهة الحسنة، والنعيم والسُّرور، وقُرَّة العين.

وقد روىٰ أبو نُعيم من حديث الأعمش عن أبي سفيان عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عَزَّوَجَلَّ للجنَّة: طيبي لأهلك؛ فتزداد طيبًا، فذلك البَرْد الذي يجده الناس بالسَّحَر من ذلك**».

كما جعل سبحانه نار الدُّنيا وآلامها وغمومها وأحزانها مُذكِّرةً بنار الآخرة، قال تعالىٰ في هذه النَّار: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ [الواقعة: ٧٣].

وأخبر النَّبيُّ ﷺ أن شدَّة الحرِّ والبرد من أنفاس جهنَّم، فلا بُدَّ أنْ يشهد عباده أنفاس جنته، وما يذكرهم بها».

واليهود في حقائق ما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ به عن اليوم الآخر خير من المعتزلة وفروعهم المكذِّبين بذلك.

عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: جاء حَبْرٌ إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا مُحمَّدُ، إنَّ الله يضع السماء علىٰ إصبع، والأرضين علىٰ إصبع، والجبال علىٰ إصبع، والشجر والأنهار علىٰ إصبع، وسائر الخلق علىٰ إصبع، ثمَّ يقول: أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ وقال: ﴿**وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ**﴾ [الأنعام: ٩١]. رواه البخاري ومسلم.

وعن ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: جاء حبْرٌ من أحبار اليهود، فقال للنبي ﷺ: أين يكون النَّاس يوم تبدل الأرضُ غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هم في**

(١) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (٢/ ٣٣٦، ٣٣٧).

الظلمة دون الجسر»، قال: فمن أوَّل النَّاس إجازة يوم القيامة؟ قال: «**فقراء المهاجرين»**، قال اليهودي: فما تُحْفتهم حين يدخلون الجنَّة؟ قال: «**زيادة كبد النون»**، قال: فما غذاؤهم علىٰ إثره؟ قال: «**ينحر لهم ثور الجنَّة الذي كان يأكل من أطرافها»** قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «**من عين فيها تُسمَّىٰ سلسبيلًا»**، فقال اليهودي: لقد صدقت، وإنَّك لنبيٌّ. رواه مسلم.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النَّبي ﷺ: «**تكون الأرض يوم القيامة خُبْزَة واحدة، يَتَكَفَّؤُهَا الجبَّارُ بيده كما يَكْفَأُ أحدكم خُبْزَتَهُ في السَّفَرِ، نُزُلًا لأهل الجنَّة»**، فأتىٰ رجل من اليهود فقال: بارك الرَّحمن عليك يا أبا القاسم، ألا أخبرك بنُزُل أهل الجنَّة يوم القيامة؟ قال: «**بلىٰ»**، قال: تكون الأرض خُبزة واحدة. كما قال النَّبي ﷺ؛ فنظر النَّبيُّ ﷺ إلينا ثمَّ ضحك حتىٰ بَدَتْ نواجذه.

مدارسة بدء الخلق، وحكمة الخلق، وبعث الخلق، وما يكون في اليوم الآخر من الحساب هو من تبيين عقيدة التوحيد، وهو اتباع للنبي ﷺ في شرح مسائل الدين.

عن الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام رسول الله ﷺ فينا مقامًا، فأخبرنا عن بدء الخلق حتَّىٰ دخل أَهْلُ الجنَّة منازلهم، وأهل النَّار منازلهم؛ حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه. رواه البخاريُّ.

وكان من جودة شرح النَّبي ﷺ أن صار علم الصَّحابة بالغيب الذي يكون في اليوم الآخر كأنه عين اليقين، قال حنظلة الأسيدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إذا كنا عند رسول الله ﷺ وحدثنا عن الجنَّة والنَّار، كأنا نراها عين اليقين»، رواه مسلم.

والإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ والرسل - عليهم الصلاة والسلام - والحساب في

اليوم الآخر اعتقاد يقيني يحيا عليه المسلم، ويتعبد لله عَزَّوَجَلَّ بموجبه بعبادة الله وحده، وباتباع الرسل والعمل لثواب الآخرة، والرغبة في لقاء الله.

ففي الصحيحين عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** كان النَّبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «**اللهم ربنا لك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحقُّ، ووعدك الحق، ولقاؤك حقٌّ، وقولك حقٌّ، والجنَّة حقٌّ، والنَّار حقٌّ، والنَّبيون حق، ومحمَّد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت**».

والحديث عن الإيمان باليوم الآخر تفاصيله كثيرة، أُجمل القول في شرح مسائل ذلك بالحديث أولًا عن القيامة الصغرىٰ.

❁ ❁ ❁

إن الإنسان متىٰ مات فقد قامت قيامته؛ لأنه يجري عليه بعض الثواب والعقاب، والجزاء الأوفىٰ يكون إذا قامت القيامة الكبرىٰ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ مذهب أهل السُّنَّة والجماعة ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة، واتَّفق عليه سلف الأمَّة وأئمَّتها: الإيمان بالقيامة العامَّة التي يقوم الناس فيها من قبورهم لربِّ العالمين، ويجزي العبادَ حينئذ ويحاسبهم، ويُدْخِل فريقًا الجنَّة وفريقًا النَّار، كما هو مبيَّن في الكتاب والسُّنَّة.

والإيمان مع ذلك بنعيم القبر وعذابه، وبما يكون في البرزخ من حين الموت إلىٰ حين القيامة من نعيم وعذاب، فالإنسان منذ تفارق روحُه بدنَه هو إما في نعيم وإما في عذاب؛ فلا يتأخر النعيم والعذاب عن النفوس إلىٰ حين القيامة العامة وإن كان كمالُه حينئذ، ولا تبقىٰ النفوس المفارقة لأبدانها خارجة عن النعيم والعذاب ألوفًا من السنين إلىٰ أن تقوم القيامة الكبرىٰ، ولهذا قال المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أيها الناس، إنكم تقولون: القيامة، القيامة. وإنه من مات فقد قامت قيامته».

والله عَزَّوَجَلَّ سمَّىٰ مفارقة الروح للبدن وفاة، وحياة الإنسان البرزخية والأخروية متصلة بحياته الدنيوية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «القلب إِذا كَانَ حَيًّا، فَمَاتَ الْإِنْسَان

(١) جامع المسائل، المجموعة الثامنة (ص١١٣).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١١٠).

بِفِرَاق روحه بدنه؛ كَانَ موت النَّفس فراقها للبدن، لَيست هِيَ فِي نَفسهَا ميتَة بِمَعْنىٰ زَوَال حَيَاتهَا عَنْهَا».

القبر أول منازل الآخرة، عن هانئ مولىٰ عثمان قال: كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا وقف علىٰ قبر بكىٰ حتَّىٰ يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فقيل له: تُذْكَرُ الجَنَّةُ والنَّارُ فلا تبكي، وتبكي من هذا؟ فقال: إنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ من منازل الآخرة؛ فإن نجا منه فما بعده أَيْسَرُ منه، وإن لم يَنْجُ مِنْهُ فما بَعْدَهُ أَشَدُّ منه، ما رأيت منظرًا قطُّ إلَّا والقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ**»، رواه الترمذي وحسَّنه.

وقد حجب الله عن الخلق رؤية وسماع عذاب القبر لحكمة بالغة، وقد أخبرنا النبي ﷺ عن بعض ذلك فقال: «**لولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر**»، رواه مسلم من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال العلامة يحيىٰ بن محمد بن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هذا الحديث يدل علىٰ وجوب الإيمان بعذاب القبر، وأنَّه لولا خوف رسول الله ﷺ أنه كان إذا سمعه الخلق تركوا موتاهم علىٰ وجه الأرض، لا يوارون سوءاتهم؛ لكان ﷺ دعا الله أن يسمعهموه.

والفقه في هذا الحديث أنّ النبي ﷺ اشتد حرصه علىٰ أن يُبيّن للمسلمين كلهم عذاب القبر يقينًا، لا يتمارون فيه، حتىٰ كاد يدعو الله أن يسمعهموه».

القبور منازل مؤقتة، وهي مرحلة انتقال إلىٰ المنازل الخالدة، والقبر مستراح المؤمنين، يستريحون فيه من نصب ووصب الدنيا.

عن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ مُرَّ عليه بجنازة، فقال: «**مستريح ومستراح منه**»، قالوا: يا رسول الله، ما المستريح وما المستراح منه؟ فقال:

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ٣٤٦).

«**العبد المؤمن يستريح من نصب الدُّنيا وأذاها إلىٰ رحمة الله تعالىٰ، والعبد الفاجر يستريح منه العباد، والبلاد، والشجر، والدوابُّ**»، متفق عليه.

قال شيخنا العلَّامة محمَّد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «القبور هي منازل مؤقتة. القبور ليست هي آخر المنازل، بل هي مرحلة.

وسمع أعرابي رجلًا يقرأ قول الله تعالىٰ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر: ١، ٢] فقال الأعرابي: «والله ما الزائر بمقيم»، فالأعرابي بفطرته عرف أنَّ وراء هذه القبور شيئًا يكون المصير إليه؛ لأنه كما هو معلوم الزائر يزور ويمشي».

والمسلم إذا جاء أجله يُثبِّته الله عند الاحتضار، ويوفِّقه لقول كلمة التوحيد التي عاش عليها، ويطمئنه من أهوال الموت، وتُنزع روحه بيُسر، قال تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

والمسلم إذا حضر أجله؛ بشَّره الله بالسلامة، فكان هذا التسليم من أول وأعظم البشارات للمؤمن بحسن العاقبة.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩٠، ٩١].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «معنىٰ الآية - والله أعلم -: فسلام لك أيُّها الرَّاحل عن الدُّنيا حال كونك من أصحاب اليمين، أي: فسلامه لك كائنًا من أصحاب اليمين الذين سلموا من الدُّنيا وأنكادها، ومن النَّار وعذابها؛ فبُشِّر بالسلامة عند ارتحاله من الدُّنيا وقدومه علىٰ الله تعالىٰ كما يبشر الملك روحه عند أخذها بقوله: «**ابشري بروح وريحان ورب غير غضبان**»، وهذا أول

(١) تفسير جزء عم (ص١١٧).

(٢) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ١٩٥).

البشرىٰ التي للمؤمن في الآخرة».

المؤمنون منعمون في قبورهم، وإذا قاموا من قبورهم فرحوا بما يلقون من بشائر حسن العاقبة والسياق إلىٰ الجنَّة.

قال تعالىٰ في حال المؤمنين إذا قاموا من قبورهم: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥].

وقال النَّبيُّ ﷺ: «ليس علىٰ أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم، ولا منشرهم، وكأنِّي بأهل لا إله إلا الله وهم ينفضون التراب عن رؤوسهم، ويقولون: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن»، رواه البيهقي في «شعب الإيمان»[1].

الكافر كان في ضيق كفره، وإن تلهَّىٰ بمتاع الحياة الدُّنيا؛ فإن وحشة الشرك والكفر جعلت قلبه ضيقًا حرجًا، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ويستمر الشقاء بالكافر في برزخه، ويوم القيامة يكون أشقىٰ الخلق وأنكدهم عيشًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «الأشقياء في البرزخ في عيش ضنك».

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** قال النَّبيُّ ﷺ: **«إذَا مات أَحَدُكُمْ عُرِض عليه مَقْعَدُهُ، غُدْوَةً وَعَشِيًّا، إمَّا النَّارُ وإمَّا الجَنَّةُ، فيقال: هذا مَقْعَدُكَ حتَّىٰ تُبْعَثَ إليه»**، متفق عليه.

---

(١) إسناده ليس بالقوي. لكن نصوص القرآن التي سبق ذكرها تدل علىٰ أن الله يطمئن المؤمن إذا بعثه من قبره.

(٢) مجموع مؤلفات الحافظ ابن رجب (١/ ١٢١).

قال العلَّامة المحدِّث ابن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هذا الخبر يبيِّن ويوضِّح أنَّ المقبور يحيا في قبره، ويبيِّن ويوضِّح أيضًا: أنَّ الجنَّة والنَّار مخلوقتان».

والله عَزَّوَجَلَّ جعل القلب أنموذجًا يعرف به المخلوق مآله في القبر، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

فمن كان صدره منشرحًا بذكر الله، وقلبه مُنعَّمًا بجمعيته علىٰ الله، وقرَّت عينه بالله؛ فهو في جنة معجلة، وسيكون قبره أسعد وآخرته أهنأ، فليداوم السير إلىٰ الله، ومن كان ضيِّق الصدر في وحشة بسبب غفلته عن ذكر الله؛ فإن الله يستعتبه، فليأخذ بأسباب سعادة الدور الثلاثة.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «حال العبد في القبر كحال القلب في الصدر، نعيمًا وعذابًا، وسجنًا وانطلاقًا، ولا عبرة بانشراح صدر هذا لعارض، ولا بضيق صدر هذا لعارض؛ فإن العوارض تزول بزوال أسبابها، وإنما المعوَّلُ علىٰ الصفة التي قامت بالقلب تُوجب انشراحه وحبسه؛ فهي الميزان، والله المستعان».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إنَّما يكون في قبره بحسب ما في قلبه، وكلما كان الإيمان في قلبه أعظم كان في قبره أسرَّ وأنعم، قال الله تعالىٰ: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾ [العاديات: ٩-١١]، فجمع سبحانه بين ما في القبور وما في الصدور».

---

(١) التوحيد (٢/ ٨٨١).

(٢) زاد المعاد (ص١٨١).

(٣) جامع المسائل، المجموعة الرابعة (ص٢٢٠).

عذاب القبر حقٌّ، دلَّ علىٰ ذلك القرآن والسنَّة والإجماع والعقل الصريح.

قال تعالىٰ عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنَّة علىٰ عذاب البرزخ في القبور».

وقال العلَّامة عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «في هذه الآية حُجَّة علىٰ صحَّة عذاب القبر».

ومن أدلة القرآن علىٰ ثبوت عذاب القبر قوله تعالىٰ عن الكفَّار: ﴿فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الطور: ٤٥-٤٧].

وهذا يُحْتَمَلُ أن يُرادَ به عذابهم بالقتل وغيره، وأن يُراد به عذابهم في البرزخ، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وهو أظهر؛ لأن كثيرًا منهم مات ولم يُعَذَّبْ في الدُّنيا».

ومن الأدلة علىٰ ثبوت عذاب القبر قوله تعالىٰ في المنافقين: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ﴾ [التوبة: ١٠١].

قال ابن أبي زمنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «أهل السُّنَّة يؤمنون بعذاب القبر - أعاذنا الله وإياك من ذلك - قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾ [طه: ١٢٤]، وقال: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ﴾ [التوبة: ١٠١]».

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٩٧).

(٢) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٦/ ٦٢٣).

(٣) الروح (ص١٠٦).

(٤) أصول السنَّة (ص١٥٤).

والأحاديث عن النَّبي ﷺ في ثبوت عذاب القبر كثيرة، أذكر بعضها:

(١) عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أن النَّبي ﷺ مَرَّ بقبرين، فقال: «**إنهما ليُعَذَّبانِ، وما يُعذَّبَان في كبير، أمَّا أحدهما فكان لا يستبرئ من البول، وأمَّا الآخر فكان يمشي بالنَّميمة**»، رواه البخاري ومسلم.

(٢) وعن أبي أيُّوب رضي الله عنه **قال:** خَرَجَ النَّبيُّ ﷺ وقد وَجَبَتِ الشَّمْسُ، فسمع صوتًا، فقال: «**يهود تُعَذَّبُ في قبورها**»، رواه البخاري ومسلم.

(٣) وعن عائشة رضي الله عنها **قالت:** دخلت عَليَّ عجوز من عجائز يهود المدينة، فقالت: إن أهل القبور يُعَذَّبون في قبورهم، قالت: فَكَذَّبْتُهَا ولم أُنْعِمْ أن أُصَدِّقَهَا، قالت: فخرجت، وَدَخَلَ عَلَيَّ رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إنَّ عجوزًا من عجائز يهود أهل المدينة دخلت عليَّ، فزعمت أنَّ أهل القبور يُعَذَّبُونَ في قبورهم، قال: «**صدقت، إنَّهم يُعَذَّبُونَ عذابًا تسمعه البهائم كلها**»، قالت: «**فما رأيته بَعْدُ في صلاة إلا يَتَعَوَّذُ من عذاب القبر**»، رواه البخاري ومسلم.

(٤) وعن عليٍّ رضي الله عنه **قال:** لمَّا كان يَوْمُ الأحزاب، قال رسول الله ﷺ في أحزاب الكفر: «**ملأ الله قبورهم وبيوتهم نارًا كما حَبَسُونا وشغلونا عن الصَّلاة الوسطىٰ حتىٰ غابت الشمس**»، متفق عليه.

وقد اعتضد الدليل العقلي مع الدليل النقلي في إثبات عذاب القبر؛ فإنَّ النائم روحه فارقت بدنه، قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، ويدرك الإنسان إذا استيقظ من نومه ما كان فيه حال النوم من النعيم أو العذاب.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قد أرانا الله سُبْحَانَهُ بِلُطْفِهِ وَرَحمته وهدايته من ذَلِك

(١) الروح (ص٨٩).

أنموذجًا فِي الدُّنْيَا من حَال النَّائِم، فَإِن مَا يُنَعَّمُ بِهِ أَو يُعَذَّبُ فِي نَومه يجري علىٰ روحه أصلًا، وَالْبدَن تَبَعٌ لَهُ، وَقَد يقوىٰ حَتَّىٰ يُؤَثِّر فِي الْبدن تأثيرًا مُشاهدًا فَيرىٰ النَّائِم فِي نَومه أَنه ضُرب، فَيُصْبِح وَأثر الضَّرْب فِي جِسْمِهِ، وَيرىٰ أَنه قد أَكَل أَو شَرِبَ فيستيقظ وَهُوَ يجد أثر الطَّعَام وَالشرَاب فِي فِيهِ، وَيَذْهَب عَنهُ الْجُوع والظَّمَأ.

وأعجب من ذَلِك أَنَّك ترىٰ النَّائِمَ يقومُ فِي نَومه، وَيضْرب ويَبْطِش ويُدَافِع كَأَنَّهُ يقظان، وَهُوَ نَائِم لَا شُعُور لَهُ بشيء من ذَلِك، وَذَلِكَ أَن الحُكمَ لمَّا جرىٰ علىٰ الرُّوح استعانت بِالْبدنِ من خَارجه، وَلَو دخلت فِيهِ لاستيقظ وأحَسَّ، فَإِذا كَانَت الرُّوح تتألَّمُ وتتنعَّمُ، ويصل ذَلِك إِلَىٰ بدنهَا بطرِيق الاستتباع؛ فَهَكَذَا فِي البَرْزَخ، بل أعظم؛ فَإِن تجرد الرُّوح هُنَاك أكمل وَأقوىٰ، وهي مُتَعَلِّقَة ببدنها لم تَنْقَطِع عَنهُ كُلَّ الِانْقِطَاع، فَإِذا كَانَ يَوْم حشر الأجساد وَقيام النَّاس من قُبُورهم؛ صَار الحكمُ وَالنَّعِيم وَالْعَذَاب علىٰ الْأَرْوَاح والأجساد ظَاهرًا أبديًّا أصْلًا».

وعذاب القبر ونعيمه يكون علىٰ الروح والبدن جميعًا، تُنَعَّمُ الرُّوح وتُعذَّبُ منفردةً عن البدن، وتُنَعَّمُ متصلة بالبدن، فيكون النَّعيمُ والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون علىٰ الرُّوح منفردةً عن البدن[1].

والفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان، يقولون أن الأبدان لا تُنَعَّمُ ولا تُعَذَّبُ، ويعتقدون أنَّ العذاب والنعيم لا يكون إلا للروح فقط.

وطوائف من أهل الكلام من المعتزلة والأشعرية كالقاضي أبي بكر، يقولون: إنَّ العذاب والنعيم علىٰ الأبدان فقط، ويجعلون الرُّوح هي الحياة.

والأدلة من الوحي تدل علىٰ أنَّ العذاب علىٰ الرُّوح والبدن جميعًا، حتىٰ في

(١) الروح (ص٧٢، ٧٣).

حال مفارقة الرُّوح للجسد، قال النَّبي ﷺ لأبي قتادة رضي الله عنه عندما قضىٰ دين الميِّت: «**الآن بَرَدَتْ عليه جلده**»، رواه أحمد من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

ويدل لذلك أيضًا ما يحصل للنائم في حال مفارقة الرُّوح، فإنه يجد أحيانًا أثرًا في جسده لما يحصل لرُوحِه في منامه.

ويدل لذلك أيضًا أن الإنسان هو مجموع الرُّوح والبدن، والعذاب والنعيم لمجموعهما الذي هو الإنسان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «لفظ «الإنسان» يتناول الجسد والرُّوحَ، ثم الأحكام تتناول هذا تارة وهذا تارة لتلازمهما؛ فكذلك القرية إذا عُذِّب أهلها خربت، وإذا خربت كان عذابًا لأهلها؛ فما يصيب أحدهما من الشر ينال الآخر؛ كما ينال البدن والروح ما يصيب أحدهما».

وقال العلَّامة المجدِّد محمَّد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «العذاب والنعيم في البرزخ للرُّوح والجسد جميعًا؛ لأنهما اللذان تساعدا علىٰ الطاعة أو علىٰ المعصية، للروح بالأصالة وللجسد بالتبع، بكيفية الله أعلم بها؛ فإنَّ الروح قد انفصلت عن الجسد، ولكن لها اتصال به كما يأتي».

وعذاب القبر ينال كل من استحقه من الموتىٰ، سواء دُفن أو لم يُقبر؛ فإن الله لا يُعجزه شيء.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «مِمَّا ينبغي أَن يُعْلَمَ أَنَّ عَذَاب الْقَبْر هُوَ عَذَاب

---

(١) الإيمان (ص١٠٨، ١٠٩).

(٢) شرح العقيدة الواسطية (ص١٤٦).

(٣) الروح (ص٨١).

البرزخ، فَكل من مَاتَ وَهُوَ مُسْتَحقٌّ للعذاب ناله نصِيبه مِنْهُ، قُبِر أَو لم يُقْبَر، فَلَو أَكلته السبَاع أَو أُحْرق حَتَّىٰ صَار رَمَادًا، ونُسِفَ فِي الْهَوَاء، أَو صُلِبَ، أَو غَرِق فِي الْبَحْر؛ وصل إِلَىٰ روحِهِ وبدنِهِ من الْعَذَاب مَا يصل إِلَىٰ المقبور».

وفي القبر فتنة وابتلاء عظيم، وهو من أسباب تكفير ذنوب المؤمنين، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**أوحي إليَّ أنكم تفتنون في قبوركم نحوًا من فتنة المسيح الدجال**»، رواه البخاري من حديث أسماء رضي الله عنها.

ولذلك ذكر النَّبي ﷺ أن ضمَّة القبر تصيب كل مخلوق، ابتلاءً وفتنة، ولو كان من أفضل الصالحين، فقال: «**لو نجا أحد من ضمَّة القبر؛ لنجا منها سعد بن معاذ**»، رواه أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها.

ضمَّة القبر والسؤال في القبر، والامتحان فيه؛ هذا من الابتلاء في القبر لكل الخلق، أمَّا عذاب القبر فهذا يختص بمن استحقه من أهل الوعيد.

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هذه الضمَّةُ ليست من عذاب القبر في شيء، بل هي أمر يجده المؤمن، كما يجد ألم فقده ولده وحميمه في الدُّنيا، وكما يَجِد من ألم مَرَضه، وألم خروج نفسه، وألم سؤاله في قبره وامتحانه، وألم تأثره ببكاء أهله عليه، وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهوله، وألم الورود علىٰ النَّار، ونحو ذلك؛ فهذه الأراجيف كلها قد تنال العبد، وما هي من عذاب القبر، ولا من عذاب جهنَّم قط، ولكن العبد التقي يرفق الله به في بعض ذلك أو كله، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ﴾ [مريم: ٣٩]، وقال: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٢٩٠).

﴿ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ﴾ [غافر: ١٨].

فنسأل الله -تعالىٰ- العَفْوَ واللُّطْفَ».

أنكرت المعتزلة عذاب القبر، وقالوا: البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب، وهم ينكرون عذاب القبر ونعيمه بناءً علىٰ أنَّ الرُّوح لا تبقىٰ بعد فِرَاقِ البَدَنِ، وعندهم أنَّ البدن لا يُنَعَّمُ ولا يُعَذَّبُ(١).

وأنكرت المعتزلة عذاب القبر بأنَّ الميِّتَ قد فارقه الرُّوح، وزايلتهُ المَعْرِفةُ، فلو كان يألم وينعمُ لكان حيًّا لا ميتًا، والفرق بين الحَيِّ والمَيِّت الحِسُّ، فمن كان يُحسُّ الأشياء فهو حَيٌّ، ومن كان لا يُحسُّها فهو مَيِّتٌ(٢).

والرَّدُّ عليهم معلوم، بأن شعور البدن وإحساسه بالنعيم أو العذاب لا يفارق الميت، إذ لا تزال روحه متعلقة بالبدن، ولذلك تُعاد روحه إلىٰ بدنه عندما يأتيه الملكان ويسألانه: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟

وبما ذكرت من أدلة القرآن والسنَّة في عذاب القبر كفاية في الرَّدِّ علىٰ المعتزلة، وبمخالفتهم لإجماع الأمَّة تتيقن ضلالهم.

قال المَرُّوذِيُّ: قال أبو عبد الله - أحمد بن حنبل -(٣): «عذاب القبر حقٌّ، لا ينكره إلا ضالٌّ أو مُضِلٌّ».

والإجماع علىٰ الإيمان بعذاب القبر معلوم متوارث من الطبقة الأولىٰ، طبقة النَّبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، كلهم يستعيذون من عذاب القبر في صلاتهم، ولا يزال المسلمون يصلون داعين ربَّهم أن يعيذهم من عذاب القبر؛

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٢٨٤).

(٢) التبصير في معالم الدين (ص٢٠٦).

(٣) الروح لابن القيم (ص٨٠).

فهذا إجماع عملي معلوم متيقن.

سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا النَّبيَّ ﷺ عن عذاب القبر، فقال: «**نعم، عذابُ القبر**». قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلَّىٰ صلاةً إلَّا تَعَوَّذَ من عذاب القبر. رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النَّبي ﷺ قال: «**إذا تشهَّد أحدكم فليستعذْ بالله من أربع؛ يقول: اللهم إني أعوذُ بِكَ من عذاب جهنَّمَ، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المَحْيَا والممات، ومن شرِّ فتنة المسيح الدجال**»، رواه مسلم.

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت: ٢٨٧ هـ)[1]: «صحَّت الأخبار عن رسول الله ﷺ في استعاذته من عذاب القبر وتعوذه منه، وثبت عنه ﷺ أنه أمر بالاستعاذة والتعوذ منه، وثبت عنه ﷺ أنَّ أمته ستبتلىٰ في قبورها، وهي أخبار ثابتة توجب العلم وتنفي الريب والشك. والله نسأل أن يعيذنا من عذاب في قبورنا، وأن يجعلها علينا رياضًا خضراء تُنور لنا فيها».

الموتىٰ يُسألون في قبورهم، دلَّ علىٰ ذلك الأحاديث المتواترة والإجماع، فإنّ الميت تعاد روحه بعد الصعود بها إلىٰ السماء، فإذا عادت الروح إلىٰ البدن أتىٰ الميت ملكان يسألانه عن ثلاث: من ربك، وما دينك، ومن نبيك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة، ليُسأل ويُمتحن في قبره».

ففي الصحيحين من حديث أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ النبي ﷺ قال في خطبته يوم كُسفت الشمس: «**ولقد أوحي إليّ أنكم تُفتنون في قبوركم مثل أو**

(١) السُّنَّة (ص٣٨١).

(٢) الروح (ص٢١١).

قريبًا من فتنة المسيح الدجال، يُؤتىٰ أحدكم، فيقال له: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن فيقول: محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدىٰ، فأجبنا وآمنا واتبعنا، فيقال له: نم صالحًا، فقد علمنا إن كنت لموقنًا.

وأما المنافق أو المرتاب فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ الناس يُمتحنون في قبورهم، فيُقالُ للرجل: من رَبُّك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟».

وفي الصحيحين عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنّ رسول الله ﷺ قال: «المسلم إذا سُئل في قبره فشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله فذلك قول الله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال شيخ المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «يثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ، ﴿وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ وذلك في قبورهم حين يُسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله ﷺ».

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ هذه الأمة تُبتلىٰ في قبورها، فإذا أُدخل المؤمن قبره وتولىٰ عنه أصحابه، جاءه ملك شديد الانتهار، فيقول له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول: إنّه رسول الله ﷺ وعبده، فيقول له الملك: انظر إلىٰ مقعدك الذي كان لك في النار قد أنجاك الله منه وأبدلك بمقعدك الذي ترىٰ من النار مقعدك الذي ترىٰ من**

(١) العقيدة الواسطية (ص٣٨).

(٢) جامع البيان (١٣/ ٦٦٧).

الجنة، فيراهما كليهما، فيقول المؤمن: دعوني أبشر أهلي، فيقال له: اسكن.

وأما المنافق فيقعد إذا تولىٰ عنه أهله، فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، أقول كما يقول الناس، فيقال له: لا دريت، هذا مقعدك الذي كان لك في الجنة قد أبدلت مكانه مقعدك من النار»، قال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يبعث كل عبد في القبر علىٰ ما مات، المؤمن علىٰ إيمانه، والمنافق علىٰ نفاقه**» رواه أحمد[1].

قال العلامة أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيىٰ المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٢٦٤هـ)**[2]: «هم بعد الضَّغطة في القبور مُساءَلون».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قُبر أحدكم أو الإنسان أتاه ملكان أسودان أزرقان، يُقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النَّكير، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فهو قائل ما كان يقول، فإن كان مؤمنًا قال: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، فيقولان له: إن كنا لنعلم أنَّك تقول ذلك، ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ذراعًا، وينور له فيه، ويقال له: نم، فيقول: أرجع إلىٰ أهلي ومالي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتىٰ يبعثه الله من مضجعه ذلك.**

وإن كان منافقًا قال: لا أدري، كنت أسمع الناس يقولون شيئًا فكنت أقوله، فيقولان له: كنا نعلم أنّك تقول ذلك، ثم يقال للأرض: التئمي عليه فتلتئم عليه حتىٰ تختلف فيها أضلاعه، فلا يزال معذبًا حتىٰ يبعثه الله من مضجعه ذلك»،

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إسناده صحيح»، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦١٣).

(٢) شرح السُّنَّة ص(٨٤).

رواه ابن حبان في صحيحه.

فهذا الحديث دلَّ علىٰ أنّ الملكين منكرًا ونكيرًا يسألان كل ميت، المؤمن والكافر، وأنّ جواب كل واحد منهما هو ما اعتقده وعاش عليه في الدنيا، وأنّ المؤمن يُفسح له في قبره سبعون ذراعًا، وهذا من النعيم والثواب البرزخي، وأنّ الكافر يضيق عليه قبره حتىٰ تختلف فيه أضلاعه، وهذا من الجحيم والعذاب البرزخي.

وأفادنا الحديث أنّ الكافر مرتاب في عقيدته، لأنّ الكفر والبدع لا يدل عليها دليل صحيح.

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنّ النبي ﷺ قال: إنّ الميّت إذا وُضع في قبره وتولىٰ عنه أصحابه، إنّه ليسمع خفق نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنّه عبد الله ورسوله، فيقول: انظر مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنَّة، وأما الكافر والمنافق فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقولان: لا دريت ولا تليت، ثم يُضرب بمطراق من حديد بين أذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من عليها غير الثقلين»، رواه البخاري ومسلم.

قال حنبل: سمعت أبا عبد الله ـ أحمد بن حنبل ـ يقول: نؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير[1].

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٢٨٧هـ)**[2]: «في المساءلة أخبار ثابتة، والأخبار التي في المساءلة في القبر منكر

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (٦/ ١٢١٩).

(٢) السُّنَّة (ص٣٧٦).

ونكير أخبار ثابتة توجب العلم، فنرغب إلىٰ الله أن يثبتنا في قبورنا عند مسألة **منكر ونكير**، ﴿بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]».

وقال أحمد بن القاسم: قلت: يا أبا عبد الله - أحمد بن حنبل -، تُقِرُّ بمُنْكَرٍ ونكِيرٍ، وما يُرْوَىٰ في عذاب القبر؟ فقال: سبحان الله! نعم، نُقِرُّ بذلك، ونقوله.

قُلْتُ: هذه اللَّفْظَةُ: تقول: منكر ونكير، هكذا، أو تقول: ملكين؟ قال: منكر ونكير[(١)].

وقال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «سؤال القبر ثابت في السُّنَّة، والإيمان به واجب، وقد وردت فيه الأحاديث الكثيرة».

وقال الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣٧١هـ) عن عقيدة أئمَّة الحديث**[(٣)]: «يؤمنون بمسألة منكر ونكير علىٰ ما ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ، مع قول الله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وما ورد تفسيره عن النبي ﷺ».

فالإسماعيلي أفادنا أنّ السؤال في القبر دلَّ عليه القرآن، بدلالة تفسير النبي ﷺ لمعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وعن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كنَّا في جنازةٍ في بقيعِ الغَرْقَدِ، فأَتانا النبيُّ ﷺ، فقعدَ وقعَدنا حولَهُ، كأنَّ علَىٰ رؤوسِنا الطَّيرَ، وهو يُلحَدُ لهُ، فقال: «**أعوذُ باللهِ من عذابِ القبرِ**»، ثلاثَ مرَّاتٍ، ثم قالَ: «**إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا كانَ في إقبالٍ منَ**

(١) الروح (ص٨٠).

(٢) تفسير القرآن (٣/ ١١٥).

(٣) اعتقاد أئمَّة الحديث (ص٧٠، ٧١).

الآخرةِ، وانقطاعٍ منَ الدُّنيا، نزلَت إليْهِ الملائِكةُ، كأنَّ علَىٰ وجوهِهمُ الشَّمسُ، معَهم كفنٌ من أكفانِ الجنَّةِ، وحَنوطٌ من حَنوطِ الجنَّةِ، فجلَسوا منْهُ مدَّ البصرِ، ثمَّ يجيءُ ملَكُ الموتِ حتَّىٰ يجلِسَ عندَ رأسِهِ، فيقولُ: يا أيَّتُها النَّفسُ الطَّيِّبةُ، اخرُجي إلىٰ مغفِرةٍ منَ اللهِ ورِضوانٍ، قالَ: «فتَخرجُ تسيلُ كما تسيلُ القطرةُ منَ في السِّقاءِ فيأخذُها، فإذا أخذَها لم يدعوها في يدِهِ طرفةَ عينٍ، حتَّىٰ يأخُذوها فيَجعلوها في ذلِكَ الْكفَنِ وذلِكَ الحنوطِ، ويخرجُ منْها كأطيبِ نفحةِ مِسْكٍ وُجِدَت علَىٰ وجهِ الأرضِ، قالَ: فيَصعدونَ بِها، فلا يمرُّونَ بِها، يعني علَىٰ ملأٍ منَ الملائِكةِ، إلَّا قالوا: ما هذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبةُ؟ فيقولونَ: فلان ابنُ فلانٍ، بأحسنِ أسمائِهِ الَّتي كانوا يسمُّونَهُ بها في الدُّنيا، حتَّىٰ ينتَهوا بِها إلىٰ السَّماءِ، فيستفتِحونَ لهُ، فيُفتَحُ لهُ، فيشيِّعُهُ من كلِّ سماءٍ مقرَّبوها إلىٰ السَّماءِ الَّتي تليها، حتَّىٰ ينتَهىٰ بِها إلىٰ السَّماءِ الَّتي فيها اللهُ، فيقولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: اكتُبوا كتابَ عبدي في علِّيِّينَ وأعيدوهُ إلىٰ الأرضِ، فإنِّي منْها خلقتُهم، وفيها أعيدُهم، ومنْها أخرجُهم تارةً أخرىٰ، قالَ: فتعادُ روحُهُ في جسدِهِ، فيأتيهِ ملَكانِ، فيُجلسانِهِ، فيقولانِ لهُ: مَن ربُّكَ فيقولُ ربِّيَ اللهُ؛ فيقولانِ لهُ: ما دينُكَ؟ فيقولُ: دينيَ الإسلامُ، فيقولانِ لهُ: ما هذا الرَّجلُ الَّذي بُعِثَ فيكم؟ فيقولُ: هوَ رسولُ اللهِ، فيقولانِ لهُ: ما عِلمُكَ؟ فيقولُ: قرأتُ كتابَ اللهِ، فآمنتُ بهِ وصدَّقتُ، فينادي منادٍ منَ السَّماءِ: أن صدقَ عبدي، فأفرِشوهُ منَ الجنَّةِ، وافتحوا لهُ بابًا إلىٰ الجنَّةِ، قال: فيأتيهِ من رَوحِها وطيبِها، ويُفسَحُ لهُ في قبرِهِ مدَّ بصرِهِ، قال: ويأتيهِ رجلٌ حسنُ الوجْهِ حسنُ الثِّيابِ طيِّبُ الرِّيحِ فيقولُ: أبشِر بالَّذي يسرُّكَ، هذا يومُكَ الَّذي كنتَ توعدُ، فيقولُ لهُ: من أنتَ؟ فوجْهكَ الوجْهُ الَّذي يجيءُ بالخيرِ، فيقولُ: أنا عملُكَ الصَّالحُ، فيقولُ: يا ربِّ، أقمِ السَّاعةَ، حتَّىٰ أرجعَ إلىٰ أَهلي ومالي.

قالَ: وإنَّ العبدَ الْكافرَ إذا كانَ في انقطاعٍ منَ الدُّنيا، وإقبالٍ منَ الآخرةِ، نزلَ إليْهِ منَ السَّماءِ ملائِكةٌ سودُ الوجوهِ، معَهمُ المسوحُ، فيجلِسونَ منْهُ مدَّ البصرِ، ثمَّ يجيءُ ملَكُ الموتِ حتَّىٰ يجلسَ عندَ رأسِهِ فيقولُ: أيَّتُها النَّفسُ الخبيثةُ، اخرُجي إلىٰ سخطٍ منَ اللهِ وغضبٍ، قال: فتتَفرَّقُ في جسدِهِ، فينتزعُها كما يُنتَزعُ السَّفُّودُ منَ الصُّوفِ المبلولِ، فيأخذُها، فإذا أخذَها، لم يدَعوها في يدِهِ طرفةَ عينٍ، حتَّىٰ يجعَلوها في تلْكَ المُسوحِ، ويخرجُ منْها كأنتنِ ريحٍ خبيثةٍ وُجِدت علَىٰ وجْهِ الأرضِ، فيصعدونَ بِها، فلا يمرُّونَ بِها علَىٰ ملأٍ منَ الملائِكةِ إلَّا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الخبيثُ؟ فيقولونَ: فلان ابنُ فلانٍ، بأقبحِ أسمائِهِ الَّتي كانوا يسمُّونه بِها في الدُّنيا، حتَّىٰ يُنتَهىٰ بهَا إلىٰ السَّماءِ الدُّنيا، فيُستفتَحُ لَه فلا يُفتحُ لَه، ثمَّ قرأَ رسولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فيقولُ اللهُ عزَّوجلَّ: اكتبوا كتابَهُ في سجِّينٍ في الأرضِ السُّفلىٰ، فتطرحُ روحُهُ طرحًا، ثمَّ قرأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج: ٣١]، فتعادُ روحُهُ في جسدِهِ، ويأتيهِ ملَكانِ فيجلسانِهِ، فيقولانِ لهُ: من ربُّكَ؟ فيقولُ: هَاهْ هَاهْ، لا أدري، فيقولانِ لهُ: ما هذا الرَّجلُ الَّذي بعثَ فيكم؟ فيقولُ: هاه هاه، لا أدري، فينادي منادٍ منَ السَّماءِ أن كذبَ، فأفرشوهُ منَ النَّارِ، وافتحوا لهُ بابًا إلىٰ النَّارِ، فيأتيهِ من حرِّها وسمومِها، ويضيَّقُ عليْهِ قبرُهُ حتَّىٰ تختلفَ أضلاعُهُ ويأتيهِ رجلٌ قبيحُ الوجْهِ، قبيحُ الثِّيابِ منتنُ الرِّيحِ فيقولُ: أبشر بالَّذي يسوؤُكَ هذا يومُكَ الَّذي كنتَ توعدُ، فيقولُ: من أنتَ؟ فوجْهكَ الوجْهُ الَّذي يجيءُ بالشَّرِّ، فيقولُ: أنا عملُكَ الخبيثُ، فيقولُ: ربِّ لا تقمِ السَّاعةَ»، رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه ابن حبان.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هذا حديث ثابت مشهور مستفيض، صحَّحه جماعة من الحفاظ، ولا نعلم أحدًا من أئمة الحديث طعن فيه، بل رووه في كتبهم، وتلقوه بالقبول، وجعلوه أصلًا من أصول الدين في عذاب القبر ونعيمه، ومساءلة منكر ونكير، وقبض الأرواح، وصعودها إلىٰ بين يدي الله، ثم رجوعها إلىٰ القبر».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «صرَّح الحديث بإعادة الروح إلىٰ الجسد، وباختلاف أضلاعه، وهذا بيَّن في أنّ العذاب علىٰ الروح والبدن مجتمعين».

فالأحاديث السابق ذكرها تدل علىٰ إعادة الروح إلىٰ البدن وقت السؤال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «الأحاديث الصحيحة المتواترة تدل علىٰ عود الروح إلىٰ البدن وقت السؤال».

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في رواية عبدوس العطار**[٤]: «أصول السنة عندنا: ...، والإيمان بعذاب القبر، وأنَّ هذه الأمة تفتن في قبورها، وتُسأل عن الإيمان والإسلام، ومن ربه؟ ومن نبيه؟ ويأتيه منكر ونكير.

كيف شاء الله عَزَّوَجَلَّ، وكيف أراد. والإيمان به والتصديق به».

والأُمَّة مجمعة علىٰ التصديق بالسؤال في القبر، وهو إجماع متوارث من عهد النبي ﷺ، قال العلامة حرب بن إسماعيل الكرماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما أجمعت

---

(١) الروح (ص٢١٩، ٢٢٠).

(٢) الجامع لكلام شيخ الإسلام في التفسير (٤/ ١١٥).

(٣) نقله عنه تلميذه في كتاب الروح (ص٢٢٤)، ط ـ مكتبة المنار ـ الأردن.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ١٧٨).

الأمة عليه[١]: «عذاب القبر حق، يُسأل العبد عن ربه، وعن نبيه، وعن دينه، ويُرىٰ مقعده من الجنَّة أو النار. ومنكر ونكير».

عذاب القبر لا يختص بالكافرين، فالكفر والمعاصي من أسباب عذاب القبر، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنّ النبي ﷺ مَرَّ بقبرين يُعَذَّبان، فقال: «**إنَّهما ليُعَذَّبَانِ، وما يُعَذَّبَان في كبير؛ أمَّا أحدهما فكان لا يستتر من البَول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**» متفق عليه.

قال العلامة الحسين بن مسعود البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥١٦هـ)**[٢]: «قوله: «**وما يُعذَّبان في كبير**»؛ معناه: أنهما لم يُعذَّبا في أمر كان يَكْبُرُ ويشقُّ عليهما الاحتراز عنه؛ لأنَّه لم يكن يَشُقُّ عليهما الاستتار عند البول، وترك النميمة، ولم يُرِدْ أنّ الأمر فيها هَيِّنٌ غير كبير في أمر الدِّين، بدليل قوله: «**وإنّه لكبير**»».

وقد أمر النبي ﷺ أُمَّته أن تستعيذ من عذاب القبر، والنبي ﷺ لا يأمرنا بما يمتنع علينا.

ومن نصوص الوعيد في عذاب القبر؛ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾؛ تشمل الكافر، فله منها حق الوعيد، وتشمل المؤمن المرتكب الكبيرة».

---

(١) إجماع السَّلف في الاعتقاد (ص٤٩، ٥٠).

(٢) شرح السُّنَّة (١/ ٣٧١).

(٣) الجامع لكلام شيخ الإسلام في التفسير (٤/ ٣٤٤).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «المعيشة الضنك فأكثر ما جاء في التفسير: أنَّها عذاب القبر، قاله ابن مسعود وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وفيه حديث مرفوع».

الحياة البرزخية غيب، والقبور منازل الأعمال، فالقبر يكون روضة من رياض الجنة للمؤمنين، ويكون حفرة من النار للكافرين، نؤمن بذلك كله، ولا يعلم حال من تحت الثرىٰ إلا الله عَزَّوَجَلَّ، ولا يعلم نوع وصفة ما ينال المقبور من النعيم أو الجحيم إلا الله، لكننا نؤمن بأنّ النعيم والعذاب حقيقي طوىٰ الله عنا رؤيته، قال النبي ﷺ: «**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يريكم من عذاب القبر**» رواه مسلم من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «يجب أن يُعلم أنّ النار التي في القبر والنعيم؛ ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها، وإن كان الله تعالىٰ يحمي عليه التراب والحجارة التي فوقه وتحته حتىٰ يكون أعظم حرًّا من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسُّوا بها. بل أعجب من هذا أنّ الرجلين يدفن أحدهما إلىٰ جنب صاحبه، وهذا في حفرة من النار، وهذا في روضة من رياض الجنَّة، لا يصل من هذا إلىٰ جاره شيء من حرّ ناره، ولا من هذا إلىٰ جاره شيء من نعيمه. وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب».

فنؤمن أن الكافر يُضيَّق عليه في قبره، وأنّ المؤمن يُفسح له في قبره مد البصر، فمن يطوي السماء كطي السجل للكتب لا يعجزه شيء من ذلك.

---

(١) بدائع التفسير (٢/ ١٩٠).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٥٢)، تحقيق العلامة الألباني.

وورد الخبر بأنّ روح الميِّت تُعاد إلىٰ جسده وقت سؤال الملكين كما في الأحاديث السابق ذكرها، ووقت السلام عليه، فهي إعادة مخصوصة لا تقتضي الحياة الدنيوية المعهودة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هذا الرد إعادة خاصة، لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة».

وعودة الأرواح إلىٰ الأبدان وقت السؤال في القبر، ووقت رد السلام؛ لا يدل علىٰ استقرار الأرواح في الأبدان مدة البرزخ؛ فروح المؤمن طائر يعلق في شجر الجنَّة حتىٰ يرجعه الله في جسده، فيبعثه الله، كما ورد عن النبي ﷺ.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «أمَّا السلام علىٰ أهل القبور فلا يدل علىٰ استقرار أرواحهم علىٰ أفنية قبورهم، فإنّه يُسلَّم علىٰ قبور الأنبياء والشهداء وأرواحهم في أعلىٰ عليين، ولكن مع ذلك لها اتصال سريع بالجسد، ولا يعلم كنه ذلك وكيفيته علىٰ الحقيقة إلا الله عَزَّوَجَلَّ، ويشهد لذلك الأحاديث المرفوعة والموقوفة علىٰ أصحابه، ومنهم: عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، في أنّ النائم يعرج بروحه إلىٰ العرش مع تعلقها ببدنه وسرعة عودها إليه عند استيقاظه.

فأرواح الموتىٰ المتجردة عن أبدانهم أولىٰ بعروجها إلىٰ السماء وعودها إلىٰ القبر في مثل تلك السرعة، والله أعلم».

ورد الله عَزَّوَجَلَّ أرواح الموتىٰ إلىٰ أبدانهم وقت سؤال الملكين، ووقت رد السلام، وسماع الموتىٰ لقرع نعال المشيعين لهم والمصلين عليهم؛ لا يُصيِّرهم

---

(١) الروح (ص٢١٢).

(٢) أهوال القبور وأحوال أهلها إلىٰ النشور (ص٢٠٧).

آلهة ولا أربابًا يُطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله من النصر علىٰ الأعداء، وتفريج الكربات، وقضاء الحاجات، والشفاء من الأسقام، وطلب الرزق، وكشف الضر وتحويله، وجلب المنفعة.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٣، ١٤].

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أخبر تعالىٰ أنّ ما يدعوه أهل الشرك لا يملك شيئًا، وأنّهم لا يسمعون دعاء من دعاهم، ولو فُرض أنَّهم يسمعون فلا يستجيبون لداعيهم، وأنّهم يوم القيامة يكفرون بشركهم؛ أي: ينكرونه ويتبرءون ممن فعله معهم».

مستقر أرواح المؤمنين بعد مفارقة البدن الجنَّة، ومستقر أرواح الكافرين النار، قال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [الواقعة: ٨٣-٩٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «ذكر هاهنا أحكام الأرواح عند الموت».

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «أرواح المؤمنين في الجنَّة، وأرواح الكفار في النار».

---

(١) قُرَّة عُيون الموحدين (ص٩٥).

(٢) الروح (ص٢٧٣).

(٣) السُّنَّة للخلال (٢/ ٣٦١ - رقم ٢٣٦٨).

مستقر أرواح المؤمنين بعد مفارقة البدن الجنَّة، وهم يتفاضلون في هذا المستقر، أفضلهم الأنبياء، ثم الشهداء، ثم المؤمنون، بحسب تحققهم بشعب الإيمان.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أما الأنبياء عليهم السلام فليس فيهم شك أنّ أرواحهم عند الله في أعلىٰ عليين. وقد ثبت في «الصحيح» أنّ آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ عند موته أنّه قال: «**اللهم الرفيق الأعلىٰ**»، وكررها حتىٰ قُبض».

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩].

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قد سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنَّة حيث شاءت، ثم تأوي إلىٰ تلك القناديل**» رواه مسلم.

أرواح المؤمنين في الجنة، تذهب حيث شاءت، تسرح وتتنعم في الجنَّة، قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «روينا في مسند الإمام أحمد حديثًا فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنَّة تسرح أيضًا فيها، وتأكل من ثمارها، وترىٰ ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعده الله لها من الكرامة، وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم، اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة، فإنّ الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ رواه عن محمد بن إدريس الشافعي،

(١) أهوال القبور وأحوال أهلها إلىٰ النشور (ص١٧٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٦٧).

رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن مالك بن أنس الأصبحي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، قال: قال رسول الله ﷺ: «**نسمة المؤمن طائر يعلّق في شجرة الجَنَّة حتىٰ يرجعه الله إلىٰ جسده يوم يبعثه**».

قوله: «يعلق» أي: يأكل، وفي هذا الحديث: «**إنّ روح المؤمن تكون علىٰ شكل طائر في الجنَّة**»، وأما أرواح الشهداء فكما تقدم في حواصل طير خضر في الجنَّة، كالراكب بالنسبة إلىٰ أرواح عموم المؤمنين، فإنّها تطير بأنفسها».

القبور منازل الموتىٰ فلا يجوز اتخاذها مساجد؛ ففي الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالا: لما نُزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له علىٰ وجهه، فإذا اغتمَّ بها كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: «**لعنة الله علىٰ اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»، قال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: يُحذِّر ما صنعوا.

وعن أبي مَرثد الغنوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تجلسوا علىٰ القبور، ولا تُصلُّوا إليها**» رواه مسلم.

وحذَّر النبي ﷺ من الغلو في قبره، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله ﷺ؛ قال: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبد، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» رواه أحمد.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أنّ النبي ﷺ قال: «لا تجعلوا قبري عيدًا، وصلُّوا عَلَيَّ فإنّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم» رواه أبو داود[1].

قال الحافظ محمد بن أحمد بن عبد الهادي المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «معلوم أنّه

(١) قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بإسناد حسن»، كتاب التوحيد (ص٨٩).

(٢) الصارم المنكي في الرد علىٰ السبكي (ص٤١٩).

لو اتُّخذ قبره عيدًا ومسجدًا ووثنًا صار الناس يدعونه ويتضرعون إليه، ويسألونه ويتوكلون عليه، ويستغيثون ويستجيرون به، وربما سجدوا له وطافوا به وصاروا يحجُّون إليه، وهذه كلها من حقوق الله وحده الذي لا يشركه فيها مخلوق».

زيارة القبور مشروعة لتذكر الآخرة، وللسلام علىٰ الميت والدعاء والاستغفار له.

أمَّا زيارة القبور للاستغاثة بالموتىٰ وسؤالهم ما لا يقدر عليه إلا الله؛ فهو شرك وسفه في العقول، فلو كان المقبورون يملكون لأنفهسم نفعًا أو ضرًّا ما ماتوا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أما الزيارة البدعية فمثل التمسُّح بالقبر، أو تقبيله، أو قصده للصلاة عنده والدعاء، وطلب الحوائج من الميت، وأمثال ذلك مما هو من جنس فعل المشركين والنصارىٰ، ولهذا قال النبي ﷺ فيما رواه مالك في الموطأ: «**اللهم لا تجعل قبري وثنًا يُعبَد، اشتدَّ غضب الله علىٰ قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»».

❁ ❁ ❁

(١) جامع المسائل، المجموعة الثالثة (ص١٢٦، ١٢٧).

النفخ في الصور

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالنفخ في الصور:

فإذا وقعت أشراط الساعة كلها نفخ إسرافيل في الصور نفخة الفزع، فيفزع كلُّ من في السَّموات والأرض إلا من شاء الله، **قال تعالىٰ**: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]. ثم ينفخ إسرافيل نفخة الصعق فيهلك من كان حيًّا، قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «يموت بسببها جميع الموجودين من أهل السموات والأرض، من الإنس والجن والملائكة؛ إلا من شاء الله، فقيل: هم حَمَلَةُ العَرْش، وجبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت».

وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ [النازعات: ٦، ٧].

قال ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: الرَّاجفة: النَّفخة الأُولىٰ، والرَّادِفَةُ: النَّفْخَةُ الثَّانيةُ[(٢)].

وأمَّا قوله تعالىٰ: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ [النازعات: ١٣، ١٤]؛ ففيه إثبات صيحة واحدة، تكون هي البداية.

---

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٣٣٤).

(٢) من رواية علي بن أبي طلحة عنه، وهي صحيفة صحيحة، انظر فتح الباري (١٣/ ٢٧١).

قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحاقة: ١٣].

قال العلامة عبد الرحمن بن محمد العُلَيْمِيُّ المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «﴿نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ هي الأولىٰ التي للفزع، ومعها يكون الصعق، ثم نفخة البعث».

ومقدار ما بين نفختي الفزع والصعق غيب، لا أعرف فيه نصًّا صحيحًا يُبيِّن ذلك.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُنْفَخُ في الصُّورِ، فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شاء الله، ثمَّ يُنْفَخُ فيه أُخْرَىٰ؛ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ رفع رَأْسَهُ، فَإِذَا مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ آخِذٌ بِقائمة من قوائم العَرْشِ، فلا أدري أكان ممن استثنىٰ الله، أم رَفَع رأسه قَبْلي، ومن قال: أنا خيرٌ من يُونُس بْنِ مَتَّىٰ فقد كذب**».

قال الحافظ الفقيه المفسِّر الحسين بن مسعود البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قَوْله: «صَعق» الرَّجُل يصعق: إِذَا أَصَابَهُ فزع، فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ.

وَقَوله: «باطش بِجَانِب الْعَرْش»، أَي: قَابض عَلَيْهِ بِيَدِهِ.

وَقَوله: «أم كَانَ مِمَّن اسْتثْنىٰ الله»، يُرِيد قَوْله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

قَوْله: «أم حُوسِبَ بصعقة الطُّور»، أَي: عُوفي من الصَّعق مَعَ النَّاس لما كَانَ من صعقة الطُّور، كَمَا أخبر الله تَعَالَىٰ: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إذا صُعق الناس يوم القيامة؛ إما أن يكون جُوزي بصَعْقَةِ الطُّور فلا يُصْعَقُ يومئذ، وإمَّا أن يكون

---

(١) فتْحُ الرَّحمن في تفسير القرآن (٧/ ١٤٤).

(٢) شرح السُّنَّة (١٥/ ١٠٧).

(٣) البداية والنهاية (١٩/ ٤٧٧).

صُعِقَ فأفاق، أي: صُعِقَ صَعْقة خفيفة، فأفاق قبل الناس كُلِّهم».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لمَّا فَرَغ الله من خلْق السموات والأرض خَلَق الصُّورَ، فأعطاه إسْرافيل، فهو واضعه علىٰ فِيه، شاخص بصره إلىٰ العرش، ينتظر متىٰ يؤمر**». قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله، وما الصُّورُ؟ قال: «**قرنٌ**». قال: وكيف هو؟ قال: «**قَرْنٌ عظيم، ينفخ فيه ثلاث نفخات؛ الأولىٰ نَفْخَةُ الفَزَع، والثانية نَفْخَةُ الصَّعْق، والثَّالثة نفخة القيام لربِّ العالمين**» رواه أبو يعلىٰ وإسحاق بن راهويه[(١)].

ومجموع نصوص الوحي من القرآن والسُّنَّة؛ يدل علىٰ أنّ النفخ في الصور ثلاث: نفخة فزع، ثم نفخة الصعق، ثم نفخة البعث.

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّ رسول الله ﷺ قال: «**يرسل الله ريحًا باردة من قِبَل الشام بعد إهلاك المسيح عيسىٰ ابن مريم للدَّجال، فتقبض روح كل مؤمن، فيبقىٰ شرار الخلق، ثم يُنفَخُ في الصُّور، فلا يسمعه أحد إلَّا أصغىٰ لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا**» رواه مسلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «**«أصغىٰ لِيتًا ورفَع لِيتًا»** أي: رَفَع صفحة عُنقه وأمال الأخرىٰ، يستمع هذا الأمر العظيم الذي قد هال النَّاس وأزعجهم عمَّا كانوا فيه من أمر الدنيا، وشُغْلهم بها، ووقوع هذا الأمر العظيم».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «ثم بعد ذلك بمُدَّة يأمُرُ الله تعالىٰ

---

(١) قال الحافظ أبو موسىٰ المديني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا الحديث وإن كان في إسناده من تُكُلِّم فيه، فعامَّةُ ما فيه يُرْوىٰ مفرَّقًا بأسانيد ثابتة». البداية والنهاية (١٩/ ٣٢٣).

(٢) البداية والنهاية (١٩/ ٣٠٣، ٣٠٤).

(٣) البداية والنهاية (١٩/ ٣٠٤).

إسرافيل أن ينفخ نفخة الصَّعْق، فيَصْعَقُ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم يَأمُرُهُ فيَنْفُخُ فيه أخرىٰ، فيقوم الناس لرب العالمين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨]».

وأمَّا مقدار ما بين نفختي الصعق والبعث فأربعون، كما دلَّت السُّنَّة علىٰ ذلك، والحديث أجمل مقدار الأربعين، وهو أبلغ في بيان هول القيامة والنفخ في الصور، ولا ريب أنَّ كل أحوال ومقامات الآخرة مهولة عظيمة، يجعلها الله يسيرة علىٰ المؤمنين.

قال تعالىٰ: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [المدثر: ٩، ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [فصلت: ٤٠].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه **قال:** قيل لرسول الله ﷺ: يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فما أطول هذا اليوم؟! فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، إنَّه ليُخَفَّفُ علىٰ المؤمن حتىٰ يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يُصَلِّيها في الدُّنْيا**»، رواه أحمد، وإسناده ليس بالقويِّ؛ لأنَّه من رواية ابن لهيعة عن درَّاج أبي السَّمْح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدريِّ، والآيات قبله شاهدة لمعناه.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**ما بين النَّفختينِ أربعون**» قالوا: أربعون يومًا؟ قال: أَبَيْتُ، قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أَبَيْتُ، قَالُوا: أربعون سنةً؟ قال: أَبَيْتُ، قَالَ: «**ثمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّماء ماءً، فَيَنْبُتُونَ كما يَنْبُتُ البَقْلُ، ليس من الإنسان شيء إلَّا يَبْلَىٰ إلَّا عَظْمٌ واحدٌ، وهو عَجْبُ الذَّنَبِ، ومنه يُرَكَّبُ الخَلْقُ يوم القيامة**».

قال الحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قوله ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**» قالوا: يا أبا هريرة، أربعين يومًا؟ قال: أبيت؛ إلىٰ آخره، معناه: أبيتُ أنَّ أجزم أنْ المراد أربعون يومًا أو سنة أو شهرًا، بل الذي أجزم به أنَّها أربعون مُجْمَلة، وقد جاءت مفسَّرة من رواية غيره في غير مسلم: أربعون سنة».

وينام الناس في قبورهم بين النفختين، فإذا نُفخت: نفخة البعث والنشور؛ قام الخلق جميعًا لربِّ العالمين.

قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «يقول تعالىٰ مخبرًا عن هول يوم القيامة، وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة، فقوله تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، هذه النفخة هي الثانية، وهي نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض، إلا من شاء الله؛ كما جاء مصرَّحًا به مفسَّرًا في حديث الصور المشهور. ثم يقبض أرواح الباقين حتىٰ يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولًا، وهو الباقي آخرًا بالديمومة والبقاء، ويقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] ثلاث مرات. ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول: ﴿لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، أنا الذي كنت وحدي وقد قهرت كل شيء، وحكمت بالفناء علىٰ كل شيء. ثم يحيي أوَّل من يحيي إسرافيل، ويأمره أن

(١) شرح صحيح مسلم (١٨/ ٩١، ٩٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٦٩).

ينفخ بالصور مرة أخرىٰ، وهي النفخة، الثالثة نفخة البعث؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] أي: أحياء، بعدما كانوا عظامًا ورفاتًا، صاروا أحياءً ينظرون إلىٰ أهوال يوم القيامة».

قال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۖ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يس: ٥١، ٥٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هذه هي النَّفخة الثَّالثة، وهي نفخة البعث والنشور للقيام من الأجداث والقبور، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]، والنسلان هو المشي السريع، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج: ٤٣].

﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۖ﴾ [يس: ٥٢]؛ يعنون قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدُّنيا أنَّهم لا يُبعثون منها، فلما عاينوا ما كذبوا به في محشرهم ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۖ هَٰذَا﴾، وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم؛ لأنه بالنسبة إلىٰ ما بعده في الشدة كالرقاد. قال أبيُّ بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومجاهد والحسن وقتادة: ينامون نومة قبل البعث.

قال قتادة: وذلك بين النفختين، فلذلك يقولون: من بعثنا من مرقدنا، فإذا قالوا ذلك أجابهم المؤمنون، قاله غير واحد من السلف ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢].

وقال الحسن: إنَّما يجيبهم بذلك الملائكة، ولا منافاة؛ إذ الجمع ممكن، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم».

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٤٦).

الحشر

وبعد إهلاك الله عَزَّوَجَلَّ لكل من كتب عليه الفناء يطوي الله عَزَّوَجَلَّ السموات والأرض.

قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يقبض الله تعالىٰ الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أنا الجبَّار، أين ملوك الأرض؟ أين الجبَّارُون؟ أين المُتكبِّرُون؟**».

وتتبدل صفات الأرض ومعالمها بين النفختين، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «تُبَدَّلَ مَعَالِمُ الْأَرْضِ فِيمَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ: نَفْخَةِ الصَّعْقِ، وَنَفْخَةِ الْبَعْثِ؛ فَتَسِيرُ الْجِبَالُ، وتُمَدُّ الأرض، ويبقىٰ الجميع صَعِيدًا وَاحِدًا، لَا اعْوِجَاجَ فيه ولا روابي ولا أودية، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

أي: لا انخفاض فيها ولا ارتفاع.

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٣٣٨، ٣٣٩).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: ٤٧]».

تُبدَّل الأرض فيدكُّها الله عَزَّوَجَلَّ دكًّا، وينسف جبالها، ويجعلها أرضًا مستوية، يمدُّها مدَّ الأديم[(١)] ليس فيها معلم لأحد.

ففي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُحْشَرُ النَّاس يوم القيامة علىٰ أرض بيضاء عفراء[(٢)]، كقُرْصَةِ النَّقِيِّ[(٣)]، ليس فيها معلم لأحد**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «هذا الحديث وسائر الآثار تبيِّن أنَّ الناس يُحشرون علىٰ الأرض المبدَّلة، والقرآن يوافق علىٰ ذلك؛ كقوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، وحشرهم وحسابهم يكون قبل الصِّراط؛ فإن الصِّراط عليه ينجون إلىٰ الجنَّة، ويسقط أهل النَّار فيها، كما ثبت في الأحاديث».

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾، وقال عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مدَّ الأديم وحُشر الخلائق. رواه الحاكم.

---

(١) **الأديم**: ظاهر الأرض وسطحها، فتكون الأرض مسطحة.

(٢) **العفر**: بياض ليس بالناصع، فتح الباري (١١/ ٤٥٥).

(٣) بفتح النون وكسر القاف، أي: الدقيق النقي من الغش والنخال، فتح الباري (١١/ ٤٥٦).

(٤) الجامع لكلام شيخ الإسلام في التفسير (٤/ ١٢٤).

وأرض المحشر أرض مستوية، ودلَّ لذلك أيضًا حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيحين، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد**».

قال العلامة ابن هُبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الصعيد: الأرض المستوية».

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، قال: تُبدَّل الأرض أرضًا كأنَّها فضة، لم يسفك فيها دم حرام، ولم يعمل عليها خطيئة. رواه عبد الرزاق[2].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «المحشر: هل هو في أرض من أراضي الجنَّة؟ أو في أرض من أراضي الدُّنيا؟ أو في موضع لا من الجنَّة ولا من النَّار؟ فقد قيل: أوَّلُ حشر الناس عند قيامهم من قبورهم في هذه الأرض التي ماتوا ودُفنوا فيها، ثم يُحَوَّلون إلىٰ الأرض التي تُسمىٰ: السَّاهرة، فهذا معنىٰ قوله: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾، والساهرة: هي التي يحاسبون عليها، فإذا فرغوا من الحساب؛ جازوا علىٰ الصراط، ويميّز بين المجرمين والمؤمنين، ضُرب بينهم بسور، فكان ما وراء السُّور مما يلي الجنَّة من أرض الجنَّة، وصار ما دون السُّور مما يلي النَّار من أرض جهنم، وموضع الحساب يصير من جهنم».

والأظهر أنَّ أرض المحشر هي أرض الدنيا التي بدَّل الله صفتها ومدَّها مدَّ الأديم، أرض بيضاء نقية، عفراء، يعني: ليست شديدة البياض.

والله عَزَّوَجَلَّ ذكر أن الحشر إلىٰ هذه الأرض بعد نفخة البعث مباشرة، فهذا يدلُّ علىٰ أنَّها أرض الدنيا التي تبدَّلت صفتها، وهذا قول عامة السلف المتقدمين

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٦/ ٤٣٤).

(٢) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رجاله رجال الصحيح، وهو موقوف». فتح الباري (١١/ ٤٥٦).

(٣) بدائع الفوائد (٣/ ١٠١٢).

من الصحابة والتابعين.

قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الساهرة: الأرض كلها، وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة[١].

وقال عكرمة والحسن والضحاك وابن زيد: الساهرة وجه الأرض[٢].

وقال مجاهد: كانوا بأسفلها فأُخرجوا إلىٰ أعلاها[٣].

وقال مجاهد: والساهرة: المكان المستوي[٤].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «الصحيح أنّها الأرض، وجهها الأعلىٰ».

وقال العلامة عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٦]: «﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾، وهي وجه الأرض، في قول جمهور المفسرين واللغويين، قالوا: سُمِّيَتْ بذلك؛ لأنَّ به نوم الحيوان وسهرهم.

والمعنىٰ: فإذا هم علىٰ ظهر الأرض أحياءً، بعد أن كانوا في بطنها أمواتًا».

فالحاصل أن السَّاهرة هي أرض الموقف، وهي أرض بيضاء نقية، وهذا من تبديل صفة أرض الدنيا.

قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾.

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «**يُحشر الناس يوم القيامة علىٰ أرض بيضاء عفراء كقُرصة النَّقيّ**»، قال سهل أو غيره: «ليس فيها معلم لأحد».

قال العلامة أبو محمد بن أبي جمرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٧]: «فيه إشارة إلىٰ أنَّ أرض الموقف

(١-٥) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٧٣).

(٦) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٨/ ٤٧٢).

(٧) فتح الباري (١١/ ٤٥٦).

أكبر من هذه الأرض الموجودة جدًّا، والحكمة في الصفة المذكورة أنَّ ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق، فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهرًا عن عمل المعصية والظلم. وليكون تجليه سبحانه علىٰ عباده المؤمنين علىٰ أرض تليق بعظمته، ولأنَّ الحكم فيه إنّما يكون لله وحده، فناسب أن يكون المحل خالصًا له وحده».

وبعد أن يجعل الله أرض الدنيا أرضًا بيضاء نقية، يجعلها سبحانه بعد ذلك خبزة واحدة ضيافة لأهل الجنَّة، ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزةً واحدةً يتكفؤها الجبار بيده، كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر، نزلًا لأهل الجنة**».

وبعد أن يجعل الله عَزَّوَجَلَّ الأرض خبزة واحدة يقبض عليها بيده، ففي الصحيحين من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: رأيت رسول الله ﷺ علىٰ المنبر يقول: «﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾، ثم يقول: **أنا الله، أنا الرحمن، أنا الجبار، أين المتكبرون؟**»

قال العلامة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١١هـ)[1]: «يبدل الله الأرض غير الأرض، كما أخبرنا منزل الكتاب علىٰ نبيه ﷺ في محكم تنزيله في قوله: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾، وبيَّن علىٰ لسان نبيّه المصطفىٰ ﷺ صفة تبديل الأرض غير الأرض، فأعلم ﷺ أنَّ الله تعالىٰ يبدلها فيجمعها[2] خبزة واحدة، فيقبض عليها حينئذ كما خَبّر في خبر ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا».

قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾

---

(١) التوحيد (١/ ١٨٥، ١٨٦).

(٢) هكذا في النسخة المطبوعة، ولعلَّ صوابها «فيجعلها»، والله أعلم.

[الحاقة: ١٣، ١٤].

قال العلَّامة عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «المراد: أنَّها تصير أرضًا واحدة مستوية، لا ترىٰ فيها عوجًا ولا أمتًا».

وقد ذكر الله صفة دَكِّ الجبال، فقال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤].

قال العلَّامة عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾؛ أي: تُزلزل وتُحرَّك ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤]، قال الفراء: الكثيب: الرمل، والمهيل: الذي تحرَّك أسفله فينهال عليك من أعلاه».

وكما يسوي الله الأرض بدكِّ ما عليها؛ فإنَّه عَزَّوَجَلَّ يزلزلها فتخرج ما في باطنها.

وبعد نفخة الفزع تتزلزل الأرض، وتنشق بسبب ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «وأما زلزال الأرض، وانشقاقها بسبب تلك الزلزلة، وفرار الناس إلىٰ أقطارها، وأرجائها؛ فمناسب أنه بعد نفخة الفزع وقبل الصعق، قال الله تعالىٰ إخبارًا عن مؤمن آل فرعون أنه قال:

﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ [غافر: ٣٢، ٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرحمن: ٣٣-٣٦]».

---

(١) رموز الكنوز (٨/ ٢٥٦).

(٢) رموز الكنوز (٨/ ٣٣٩).

(٣) البداية والنهاية (١٩/ ٣٢٧).

وكما تتزلزل الأرض وتنشق؛ فإن السماء تشقق، قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧].

قال الحافظ البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أَي: صَارَت كلون الْوَرْد، تتلوَّن ألوانًا يَوْم الْفَزع الْأَكْبَر؛ فالدِّهَان: جمع دُهْن، أَي: كَمَا تتلوَّن الدِّهَان الْمُخْتَلِفَة، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٨]، أَي: كالزيت المغلي، وَقِيلَ: الدهان: الْأَدِيم الْأَحْمَر.

وَقَوله جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦]، أَي: ضَعِيفَة جدًّا، يُقَالُ للسِّقاء إِذَا تفتق خرزه: لَقَدْ وهىٰ يهي».

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢﴾ [القيامة: ٧-١٢].

قال العلَّامة أبو المظفَّر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قوله: ﴿بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ [القيامة: ٧]، أي: شخص من الهول فلم يطرف».

وقال السمعاني[٣]: «وَقَوله: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ [القيامة: ٨] أَي: ذهب ضوءه.

وَمِنْه يُقَال: بِئْر منخسفة وَغير منخسفة.

وَعَن أبي حَاتِم مُحَمَّد بن إِدْرِيس الرَّازِيِّ أَنه قَالَ: الْكُسُوف أَن يذهب بعض الضَّوْء، والخسوف أَن يذهب جَمِيع الضَّوْء».

وجمع الشمس والقمر هو جمعهما في الخسفة وإذهاب الضوء، ثم يلقيان في النَّار فيصيران نارًا علىٰ الكفار[٤].

---

(١) شرح السُّنَّة (١٥/ ١١٠). (٢) تفسير القرآن (٦/ ١٠٣).

(٣) تفسير القرآن (٦/ ١٠٣، ١٠٤)، باختصار.

(٤) تفسير السمعاني (٦/ ١٠٤).

وقوله: ﴿لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ١١]: لا محيص[(١)]، وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ [القيامة: ١٢]، أي: يظهر مستقر العباد في الجنَّة أو النَّار[(٢)].

وذهاب ضوء الشمس والقمر سببه تكويرهما، قال تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١].

قال العلَّامة عبد الرَّحمن العليمي المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «﴿كُوِّرَتْ﴾، أي أظلمت، وأصل التكوير: جمع بعض شيء إلىٰ بعض، ثم يلف، فإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها».

ويصيب سائر النجوم والكواكب من الفناء والهلاك ما أصاب الشمس والقمر، قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المرسلات: ٨].

قال العلَّامة عبد الرَّحمن بن محمد العليمي المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [المرسلات: ٨] مُحِي نورها».

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢].

قال العلَّامة عبد الرَّحمن العليمي المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٥)]: «﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾: تناثرت من السماء، وتساقطت علىٰ الأرض».

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢].

وبعد أن تكور الشمس والقمر والنجوم والكواكب، فإنّ الله عَزَّوَجَلَّ يلقيهم في النار، فقد روىٰ البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبيِّ ﷺ قال: «**الشمس والقمر يُكوران يوم القيامة**»، زاد البزار: «**في النار**».

(١، ٢) تفسير السمعاني (٦/ ١٠٤).

(٣) فتح الرَّحمن في تفسير القرآن (٧/ ٢٩٣).

(٤) فتح الرَّحمن في تفسير القرآن (٧/ ٢٤٦).

(٥) فتح الرَّحمن في تفسير القرآن (٧/ ٢٩٣).

قال تعالىٰ: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة: ٩].

قال عطاء بن يسار رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في النار».

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمۡ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨﴾ [الأنبياء: ٩٨].

قال الإسماعيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «لا يلزم من جعلهما في النار تعذيبهما، فإنّ لله في النار ملائكة وحجارة وغيرها لتكون لأهل النار عذابًا وآلة من آلات العذاب وما شاء الله من ذلك، فلا تكون هي معذبة».

وفي تكوير الله عَزَّوَجَلَّ للشمس والقمر ظهور بطلان إلهيتهما لمن كان يعبدهما في الدنيا.

قال العلامة ابن هُبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «يكوران: يلقيان، وذلك لأنّه ذهب الدار التي كانا خُلقا لأجلها، فإنَّه لم يبقَ لأهل الأرض إليهما حاجة، وليعلم من أهل الجمع كل من كان عبدهما أو واحدًا منهما، فأكورا بمرأىً منه؛ أنَّه كان من الكافرين».

وقال تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشقاق: ١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «إنَّ السماء تَنْشَقُّ فيما بين نفختي الفَزَع والصَّعْق، وأنَّ نُجُومها تتناثر، ويَخْسِفُ شَمْسُها وَقَمَرُهَا. والظاهر - والله أعلم- أنَّ هذا يكون بعد نفخة الصَّعق حين ﴿تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ

(١) فتح الباري (٦/ ٣٦١)، ط - دار السلام.

(٢) فتح الباري (٦/ ٣٦١).

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح (٧/ ٢٩٨).

(٤) البداية والنهاية (١٩/ ٣٢٦، ٣٢٧).

﴿ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٨-٥٠] وقال تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾﴾ الآيات [الانشقاق: ١، ٢] وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة: ٧-١٥]».

وتشقق السماء وتنفطر إذا جاء الله عَزَّوَجَلَّ للفصل والقضاء بين عباده.

قال تعالىٰ: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: ١٨].

السماء العظيمة تتفطر يوم القيامة، وتذوب .

قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾﴾ [الرحمن: ٣٧]، فتذوب وتتلون بعد انشقاقها، **قال الحافظ ابن كثير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: قوله تعالىٰ: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ أي: تذوب كما يذوب الدردي[(٢)] والفضة في السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التي يدهن بها؛ فتارة حمراء، وصفراء، وزرقاء، وخضراء، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة».

وانفطار السماء هو تشققها، قال تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ [الانفطار: ١].

قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «يعني انشقت».

وبعد وهاء السماء وتشققها تذوب وتنصهر، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾﴾ [المعارج: ٨].

قال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٤)]: «أي : كدردي الزيت، ويقال:

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/ ١٠٩، ١١٠).

(٢) ما يكون في قاع الوعاء وأسفله، وتتلون كما تتلون الأصباغ.

(٣) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٨/ ٥١٧).

(٤) تفسير القرآن (٦/ ٤٦).

كعكر القطران.

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: هو المذاب من جواهر الأرض مثل النحاس والرصاص والفضة، فالكل مهل».

وفي أطوار تغير صفة السماء قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: السماء تكون ألوانًا كالمهل، وكالدهان، وواهية، وتشقق، فتكون حالًا بعد حال. رواه البيهقي في البعث والنشور.

وآخر أطوار السماء تشققها، وهو انتهاؤها إلىٰ لا شيء، ومن العلماء من ذكر أنّها بعد تشققها يطويها الله عَزَّوَجَلَّ وتضاف إلىٰ الجنَّة[1].

فالسماء تزول، وتطوىٰ، بعد أن كانت سقفًا محفوظًا للأرض، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾ [التكوير: ١١].

قال العلَّامة عبد الرَّحمن بن محمد العليمي المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٢٧هـ)[2]: «﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾: نزعت عن أماكنها وطُويت».

وانفطار السماء وتشقُّقها هو إيذان بزوالها وفنائها، قال تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفطار: ١].

قال العلَّامة عبد الرَّحمن بن محمد العليمي المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٩٢٧هـ)[3]: «﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ انشقَّتْ، وتشققها علىٰ غير نظام مقصود، إنما هو انشقاق لتزول بنيتها».

وبعد نفختي الفزع والصعق تُنفخ نفخة ثالثة، وهي نفخة القيام لربِّ

(١) فتح الباري (١١/ ٤٥٨).

(٢) فَتْح الرَّحمن في تفسير القرآن (٧/ ٢٩٦).

(٣) فَتْح الرَّحمن في تفسير القرآن (٧/ ٣٠٢).

العالمين، نفخة البعث والنشور.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «نفخة القيام لرب العالمين، وهو النشور من القبور لجميع الخلائق؛ ولهذا قال: ﴿وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]؛ قرئ بالمد، وبغيره علىٰ الفعل، وكلٌّ بمعنًىٰ واحد.

و﴿دَٰخِرِينَ﴾، **أي**: صاغرين مطيعين، لا يتخلف أحد عن أمره؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٥٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم: ٢٥]».

وبعد نفخة البعث تنشق الأرض، ويبعث الله من في القبور، فيقومون سراعًا لله رب العالمين، قال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق: ٤١-٤٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قوله: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ﴾ [ق: ٤٤]، وذلك أنَّ الله تعالىٰ يُنزل مطرًا من السماء ينبت به أجساد الخلائق كلها في قبورها، كما ينبت الحب في الثرىٰ بالماء، فإذا تكاملت الأجساد أمر الله تعالىٰ إسرافيل فينفخ في الصور».

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أوَّل من تنشق عنه الأرض**»، رواه مسلم.

ومقدار ما بين البعث إلىٰ الحشر يوم القيامة خمسون ألف سنة في حساب بني آدم، قال تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٦٩٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٤).

[المعارج: ٤].

قال العلَّامة عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هذا مقدار ما بين البعث إلىٰ الفصل بين الخلائق، وإلا فهو يوم لا آخر له».

وقال محمد بن إسحاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «لو سار بنو آدم من الدُّنيا إلىٰ موضع العرش ساروا خمسين ألف سنة قبل أن يقطعوه».

فهذا مقدار ما بين البعث إلىٰ الحشر في حساب بني آدم، وهو في قدرة الله العظيمة سريعة يسيرة في بعث الناس جميعًا منذ بدء الخلق إلىٰ يوم البعث.

قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ق: ٤٤].

قال الحافظ ابن كثير[٣]: «تنشق الأرض عنهم فيقومون إلىٰ موقف الحساب سراعًا مبادرين إلىٰ أمر الله».

وقال الحافظ ابن كثير[٤]: «قوله: ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾؛ أي: تلك إعادة سهلة علينا، يسيرة لدينا كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾ [القمر: ٥٠]، وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]».

وقيام القيامة تزول بسببه الأرض والسموات، ويبعث الله حينئذ الموتىٰ من قبورهم، فتلك هي دعوة الله لخلقه للجزاء والحساب.

قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٨/ ٢٧٧).

(٢) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٨/ ٢٧٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٤).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٤).

ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم: ٢٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥]؛ كقوله: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥]، وقوله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١].

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذا اجتهد في اليمين يقول: لا والذي تقوم السماء والأرض بأمره، أي: هي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيره إياها، ثم إذا كان يوم القيامة بُدلت الأرض غير الأرض والسموات، وخرجت الأموات من قبورها أحياءً بأمره تعالىٰ ودعائه إياهم؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم: ٢٥]، كما قال تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ [النازعات: ١٣، ١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ [يس: ٥٣]».

وقال تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

قال الحافظ البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «يُقَالُ: التَّبْدِيلُ: تَغْيِير الشَّيْء عَنْ حَاله، والإبدال: جَعلُ شَيْء مَكَان آخر، قَالَ الأَزْهَرِيُّ: تَبْدِيل الأَرْض: تسيير جبالها، وتفجير أنهارها، وَكَونُهَا مستوية لَا ترىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلا أمتًا، وتبديل السَّمَوَات: انتثار كواكبها وانفطارها، وتكوير شمسها وخسوف قمرها».

وقال تعالىٰ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٩٠).

(٢) شرح السُّنَّة (١٥/ ١٠٨).

ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ١-٨].

تتزلزل الأرض بعد النفخ في الصور نفخة البعث، فتُلقي الأرض ما علىٰ ظهرها من جبل وبناء وشجر، ثم تتحرك وتضطرب فتخرج ما في جوفها؛ قاله مقاتل بن سليمان[١].

يصيب الكافرين فزع شديد إذا بُعثوا من قبورهم، وكرب عظيم إذا أُخذ بهم إلىٰ المحشر، ولا يجدون لهم مفرًّا من حيث يؤمر بهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾﴾ [سبأ: ٥١-٥٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «يقول تعالىٰ: ولو ترىٰ - يا محمَّد - إذ فزع هؤلاء المكذِّبون يوم القيامة، ﴿فَلَا فَوْتَ﴾ أي: فلا مفرَّ لهم، ولا وَزَرَ لهم ولا ملجأ ﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: لم يمكنوا أن يمعنوا في الهرب، بل أخذوا من أول وهلة».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [سبأ: ٥٢] أي: يوم القيامة يقولون: آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٨/ ٧٠١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٩٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٩٢، ٢٩٣).

﴿ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥٢] أي: وكيف لهم تعاطي الإيمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم، وصاروا إلىٰ الدار الآخرة، وهي دار الجزاء لا دار الابتلاء، فلو كانوا آمنوا في الدُّنيا؛ لكان ذلك نافعهم، ولكن بعد مصيرهم إلىٰ الدار الآخرة لا سبيل لهم إلىٰ قبول الإيمان، كما لا سبيل إلىٰ حصول الشيء لمن يتناوله من بعيد.

قال مجاهد: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾، قال: التناول لذلك.

وقال الزهري: التناوش: تناولهم الإيمان وهم في الآخرة، وقد انقطعت عنهم الدُّنيا.

وقال الحسن البصري: أما إنهم طلبوا الأمر من حيث لا ينال، تعاطوا الإيمان من مكان بعيد.

وقال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: طلبوا الرجعة إلىٰ الدُّنيا والتوبة ممَّا هم فيه، وليس بحين رجعة ولا توبة. وكذا قال محمد بن كعب القرظي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ [سبأ: ٥٣] أي: كيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة، وقد كفروا بالحق في الدُّنيا وكذبوا الرُّسل».

وبعد نفخة البعث يُحشر الناس حفاة عراة، ففي الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إنَّكم محشورون إلىٰ الله حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ذاك في يوم القيامة، بعد نفخة البعث، يوم

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٣٣٣).

يقوم الناس من قبورهم حُفاةً عُراةً غُرْلًا، أي: غير مختتنين».

يحشر الناس يوم القيامة بحسب أعمالهم؛ المؤمنون مع المؤمنين، والكافرون مع الكافرين.

قال تعالىٰ: ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ونظراؤهم. وهذا ثابت عن عمر، وروي ذلك عنه مرفوعًا. وكذلك قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وأشباههم. وكذلك قال قتادة والكلبي: كل من عمل بمثل عملهم؛ فأهل الخمر، مع أهل الخمر وأهل الزنا مع أهل الزنا. وعن الضحاك ومقاتل: قرناؤهم من الشياطين؛ كل كافر معه شيطانه في سلسلة، وهذا كقوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧]. قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الفاجر مع الفاجر، والصالح مع الصالح. قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وذلك حين يكون الناس أزواجًا ثلاثة. وقال الحسن وقتادة: ألحق كل امرئ بشيعته؛ اليهودي مع اليهود والنصراني مع النصارىٰ. وقال الربيع بن خثيم: يحشر المرء مع صاحب عمله».

وإذا جُمع الناس في المحشر؛ أوتي المخلوقون صحائف أعمالهم، ويحاسب الله الخلق جميعًا، مع كثرتهم التي لا يحصيها إلَّا الله.

حشر الخلق جميعًا، الأولين والآخرين، الذين لا يحصيهم إلا الله عَزَّوَجَلَّ، وإحياؤهم وبعثهم بعد موتهم، وجمعهم في صعيد واحد للحساب؛ دالٌّ علىٰ عظمة الله عَزَّوَجَلَّ، وكمال علمه وقدرته وقوته، ودالٌّ علىٰ عظيم ربوبيَّة الله عَزَّوَجَلَّ.

---

(١) الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير (٥/ ٣٤٠).

قال العلَّامة يحيىٰ بن محمد بن هبيرة الحنبليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٦٠ هـ)**[١]: «إن الخلائق محبوس أولهم ليلحق آخرهم، وإن عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وما أوسع في خلقه علمها - الساعة - لابد أن تكون وتوجد، فإنه لابد من كون ذلك ووجوده؛ ليتكامل الخلائق، وليجتمع الآخرون بالأولين، ويشمل الحشر من عدد الخلائق لما لا يتعرض فكر مخلوق للطمع في حصره إظهارًا لملك الله عَزَّوَجَلَّ وقوة سلطانه، بحيث إن حال يوم القيامة في العظمة يكون كلُّ لحظة منه مضاهية كل عظمة كانت في الدُّنيا، ويثبت من عظمة الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في قلوب خلقه إذا شاهدوا يوم القيامة، ورأوا إحياء الموتىٰ والتقاء الأولين والآخرين، وأُحيي كل عظم رفات، وكل دابة، وكل ذي جناح، وأخبر الله عَزَّوَجَلَّ كل واحد من خلقه بكلِّ حركة تحركها وسكنة سكنها في مدة حياته، وأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يعزب عن علمه مثقال ذرة، ولا عن قدرته صغيرة ولا كبيرة، وقامت سوق الحق وجيء بالنَّبيين والشهداء، وأشرقت الأرض بنور ربها، ورأىٰ المؤمنون انتصار حزب الحق يومئذ، وبان صدق ما آمنوا به في دنياهم، وخسر هنالك الكافرون، وخزي المبطلون، وفاز المتقون؛ فذلك يقتضي زيادة التوقُّع».

يجمع الله عَزَّوَجَلَّ الخلق جميعًا في صعيد واحد، لذلك سمىٰ الله يوم القيامة بيوم الجمع، فقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورىٰ: ٧].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قوله: ﴿وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ﴾، وهو يوم القيامة،

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (١/ ٢٠٠، ٢٠١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٥٣٩).

يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد».

يجمع الله عَزَّوَجَلَّ الأمم كلها في المحشر ليحاسبهم الله عَزَّوَجَلَّ بما كسبوا، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أي: وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيام بين يدي الله، عَزَّوَجَلَّ، فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها، ومعنىٰ هذا كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَـٰلَهُمْ﴾ [هود: ١١١]».

وتدعىٰ كلُّ أمَّة بنبيِّها، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء: ٧١، ٧٢].

ويأتي النَّبي ومعه سواد عظيم كموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ومحمد ﷺ، وهو أكثر الأنبياء تابعًا، والنَّبي ومعه الرهط، والنَّبي ومعه الواحد والاثنان، والنَّبي وليس معه أحد.

قال تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء: ٤١، ٤٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «يقول تعالىٰ مخبرًا عن هول يوم القيامة وشدة أمره وشأنه: فكيف يكون الأمر والحال يوم القيامة حين يجيء من كل أمَّة بشهيد - يعني الأنبياء عليهم الصلاة السلام -، كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٣٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ١٠٩).

يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]».

وقال العلَّامة أبو المظفَّر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أَرَادَ بالشهيد من كلِّ أمَّة نبيَّها، وشهيد هَذِه الْأمَّة: نَبينَا ﷺ.

واختلفوا علىٰ أَن شَهَادَتهم علىٰ مَاذَا؟ مِنْهُم من قَالَ: يشْهدُونَ علىٰ تَبْلِيغ الرسَالَة، وَمِنْهُم من قَالَ: يشْهدُونَ علىٰ الْأمَّة بِالْأَعْمَالِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي أَن النَّبِيَّ ﷺ هَل يشْهد علىٰ من لم يره؟ مِنْهُم من قَالَ: إِنَّمَا يَشْهد علىٰ من رَآهُ، وَالصَّحِيح: أَنه يَشْهد علىٰ الْكُل؛ علىٰ من رأىٰ، وعَلىٰ من لم ير[٢]».

وقال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [ق: ٢٠، ٢١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إنّ كل أحد يأتي الله سبحانه ذلك اليوم ومعه سائق يسوقه وشهيد يشهد عليه، وهذا غير شهادة جوارحه، وغير شهادة الأرض التي كان عليها، له وعليه، وغير شهادة رسوله والمؤمنين، فإن الله سبحانه

---

(١) تفسير القرآن (١/ ٤٢٨، ٤٢٩).

(٢) النَّبي ﷺ تُعرض عليه أعمال أمته، يدلُّ لذلك حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ أعمال أمَّتي: حسنها وسَيِّئها، فوجدت في محاسن أعمالها: الأذىٰ يُمَاط عن الطَّريق، وَوَجَدْتُ في مساوِئ أعمالها النُّخَامة تكون في المسجد لا تُدْفَنُ**» رواه مسلم.

قال العلامة يحيىٰ بن محمد بن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنّها لا تعرض علىٰ رسول الله ﷺ إلا وهي بسبيل أن يستغفر لأهلها منها» الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/ ١٨١).

(٣) بدائع التفسير (٣/ ٢٢).

يستشهد علىٰ العبد الحفظة والأنبياء والأمكنة التي عملوا عليها الخير والشر، والجلود التي عصوه بها».

وأحوال أمَّة محمَّد ﷺ أكمل الأحوال في الدَّار الآخرة:

فقد روىٰ مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**نحن الآخرون الأوَّلون يوم القيامة، ونحن أوَّل من يدخل الجنَّة**».

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هذه الأمة أسبق الأمم خروجًا من الأرض، وأسبقهم إلىٰ أعلىٰ مكان في الموقف، وأسبقهم إلىٰ ظل العرش، وأسبقهم إلىٰ الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلىٰ الجواز علىٰ الصِّراط، وأسبقهم إلىٰ دخول الجنَّة؛ فالجنَّة محرَّمة علىٰ الأنبياء حتىٰ يدخلها محمد ﷺ، ومحرمة علىٰ الأمم حتىٰ تدخلها أمته».

وينادي الله عَزَّوَجَلَّ المشركين ويسألهم عن الشركاء الذين اتخذوهم آلهة، ويظهر لهم بذلك ضلالهم وكذبهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [القصص: ٧٤، ٧٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «نداء علىٰ سبيل التوبيخ والتقريع لمن عبد مع الله إلهًا آخر، يناديهم الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ رؤوس الأشهاد، فيقول: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [القصص: ٧٤] أي: في الدار الدُّنيا.

---

(١) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ٢٢٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٦).

﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾: قال مجاهد: يعني رسولًا. ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ أي: علىٰ صحة ما ادعيتموه من أن لله شركاء، ﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ أي: لا إله غيره، فلم ينطقوا ولم يحيروا جوابًا، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [القصص: ٧٥] أي: ذهبوا فلم ينفعوهم».

ذهاب الدنيا وزوالها بعد هدم أبنيتها فيه ظهور كمال قدرة الله، وعظم سلطانه، وفيه ظهور إلحاد من قال بقدم العالم، وزوال الدنيا وما فيها سببه زوال السبب الذي خُلقت من أجله، فالخلق ينتقلون عنها إلىٰ دار الخلود.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قرأ قارئ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ [التكوير: ١-٣]، وفي الحاضرين أبو الوفاء ابن عقيل، فقال له قائل: يا سيِّدي، هبْ أنه أنشر الموتىٰ للبعث والحساب وزوَّج النفوس بقرنائها للثواب والعقاب، فلمَ هدم الأبنية وسيَّر الجبال، ودكَّ الأرض، وفطرَ السماء، ونثر النجوم وكوَّر الشمس؟

فقال: إنَّما بنىٰ لهم الدار للسُّكْنىٰ والتَّمَتُّع، وجعلها وجعل ما فيها للاعتبار والتَّفَكُّر، والاستدلال عليه بحسن التأمُّل والتذكُّر، فلما انقضت مُدَّةُ السُّكْنىٰ وأجلاهم من الدَّار، خرَّبها لانتقال الساكن منها.

فأراد أن يعلِّمهم بأن الكونين كانت معمورة بهم، وفي إحالة الأحوال وإظهار تلك الأهوال وبيان القدرة بعد بيان العزة، وتكذيب لأهل الإلحاد وزنادقة المنجِّمين وعباد الكواكب والشمس والقمر والأوثان، فيعلم الذين كفروا أنَّهم كانوا كاذبين، فإذا رأوا أنَّ منار آلهتهم قد انهدم، وأنَّ معبودِيهم قد انتثرت

(١) بدائع الفوائد (٣/ ١١٣١).

وانفطرت، ومحالها قد تشققت؛ ظهرت فضائحهم، وتبيَّن كَذِبهم، وظهر أنَّ العالم مربوب محدَث مدبَّر، له ربٌّ يصرِّفه كيف شاء تكذيبًا لملاحدة الفلاسفة القائلين بالقِدَم، فكم لله تعالىٰ من حكمة في هدم هذه الدار، ودلالة علىٰ عِظم عِزَّته وقدرته وسلطانه وانفراده بالرُّبوبيَّة، وانقياد المخلوقات بأسرها لقهره، وإذعانها لمشيئته، فتبارك الله ربُّ العالمين».

❁ ❁ ❁

مجيء الله للقضاء في عباده

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بمجيء ربِّ العالمين للقضاء بين عباده، قال تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفرقان: ٢٥، ٢٦].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [الفجر: ٢١-٢٣].

قال شيخنا العلَّامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ نؤمن بأنَّ الله يجيء، لكن علىٰ أي كيفية؟ الله أعلم».

وقال العلَّامة العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قوله: ﴿**الملك**﴾: «أل» هنا للعموم، يعني جميع الملائكة، يأتون ينزلون ويحيطون بالخلق، تنزل ملائكة السماء الدُّنيا، ثم ملائكة السماء الثانية، وهلم جرًّا، يحيطون بالخلق إظهارًا للعظمة، وإلا فإن الخلق لا يمكن أن يفروا يمينًا ولا شمالًا، لكن إظهارًا لعظمة الله وتهويلًا لهذا اليوم العظيم، تنزل الملائكة يحيطون بالخلق، وهذا اليوم يوم

(١، ٢) تفسير جزء عم (ص٢٠١).

مشهود يشهده الملائكة والإنس والجن والحشرات وكل شيء ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]».

وقال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزمر: ٦٨-٧٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «قوله: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] أي: أضاءت يوم القيامة إذا تجلىٰ الحقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ للخلائق لفصل القضاء».

يحشر الكفَّار أوزاعًا، جماعات، قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «يُحشرون إلىٰ النَّار يوزعون، أي: تجمع الزبانية أولهم علىٰ آخرهم».

ويُحشر الناس جماعات في غاية من الخضوع والضعف بين يدي العزيز الجبار، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤].

قال العلَّامة عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «شبَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الناس في كثرتهم وانتشارهم وضعفهم وذلتهم وتطايرهم إلىٰ الداعي من كل مكان بالفراش المبثوث».

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٧٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٥١٩).

(٣) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٨/ ٧١٦، ٧١٧).

ويُؤتىٰ الناس صحائف أعمالهم بأيديهم، كُلٌّ بحسب عمله، قال تعالىٰ: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

قال شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣١٠هـ)**[1]: «وضع الله يومئذ كتاب أعمال عباده في أيديهم، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله».

فالعرض والحساب في المحشر، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٨].

قال العلامة المجدّد عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ علىٰ الله، ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ أي: لا من أجسادكم وذواتكم، ولا من أعمالكم وصفاتكم؛ فإنَّ الله تعالىٰ عالم الغيب والشهادة، ويحشُرُ العباد حفاةً عراةً غُرلا في أرض مستوية يسمِعُهم الدَّاعي ويَنْفُذُهم البصر، فحينئذ يجازيهم بما عملوا، ولهذا ذكر كيفية الجزاء، فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ إلىٰ قوله: ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ١٩-٢٤]».

يُعرض الخلق جميعًا علىٰ الرَّب عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٨، ٤٩].

وهذه الآية تدل علىٰ أن العرض في المحشر.

---

(١) جامع البيان (١٥/ ٢٨٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان (ص١٠٤٧).

وعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**يُعرض الناس يوم القيامة ثلاثَ عرضات، فعرضتان جدال ومعاذير، وعرضة تطاير الصحف، فمن أوتي كتابه بيمينه، وحوسب حسابًا يسيرًا دخل الجنَّة، ومن أوتي كتابه بشماله دخل النار**»، رواه أحمد والترمذي، وفيه اختلاف في إسناده، وروي موقوفًا علىٰ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من قوله[1].

قال تعالىٰ: ﴿۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [النحل: ١١١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ﴾ أي: تحاج، ﴿عَن نَّفْسِهَا﴾ ليس أحد يحاج عنها، لا أب، ولا ابن ، ولا أخ، ولا زوجة، ﴿وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: من خير وشر، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا ينقص من ثواب الخير، ولا يزاد علىٰ ثواب الشر، ولا يظلمون نقيرا».

وقال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ[3]: «قوله: ﴿تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ أي: تخاصم عن نفسها، ومجادلتهم هي قولهم: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، وقولهم: ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ﴾ [النحل: ٨٦]، وما أشبه هذه الأقوال التي ذُكرت في القرآن.

وقيل: ﴿تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١]: تدفع عن نفسها».

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ[4]: «العرض هو إبراز الأعمال، وإظهارها،

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أخرجه البيهقي في البعث بسند حسن». فتح الباري (١١/ ٤٠٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٧١٦).

(٣) تفسير القرآن (٣/ ٢٠٥).

(٤) فتح الباري (١١/ ٤٠٢).

فيعرَّف صاحبها بذنوبه، ثم يتجاوز عنه، ويؤيده ما وقع عند البزار والطبري من طريق عباد بن عبد الله بن الزبير: سمعت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: سألت رسول الله ﷺ عن الحساب اليسير، قال: «**الرجل تُعرض عليه ذنوبه، ثم يتجاوز عنها**»، وفي حديث أبي ذر عند مسلم: «**يؤتىٰ بالرجل يوم القيامة، فيقال: اعرضوا عليه ذنوبه**» الحديث، وفي حديث جابر عند ابن أبي حاتم والحاكم: «**من زادت حسناته علىٰ سيئاته فذاك الذي يدخل الجنة بغير حساب، ومن استوت حسناته وسيئاته فذاك الذي يحاسب حسابًا يسيرًا ثم يدخل الجنة، ومن زادت سيئاته علىٰ حسناته فذاك الذي أوبق نفسه، وإنَّما الشفاعة في مثله**»».

وقال تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة: ١٤، ١٥].

قال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ولو جادل عنها، فهو بصير عليها».

وورد ما يدل علىٰ أنّ من رحمه الله فإنّ الله يعرض عليه صغار ذنوبه من دون كبارها، عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنِّي لأعلم آخر رجل يُؤتىٰ به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها، فتُعرض عليه صغار ذنوبه. فيقال: عملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا؟ فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تُعرض عليه، فيقال له: فإنّ لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رَبِّ! قد عملت أشياء لا أراها هاهنا**»، فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتىٰ بَدَتْ نواجذه. رواه مسلم.

وأول من يُقضىٰ بينهم من المخلوقات البهائم، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]:

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٣٤).

(٢) البداية والنهاية (٢٠/ ١١).

«أوَّل ما يَقْضِي الله تعالىٰ بينهم من المخلوقات الحيوانات، قبل الإنس والجنِّ، وهما الثَّقَلَانِ؛ فالإنس ثَقَلٌ والجنُّ ثَقَلٌ، والدليل علىٰ حشر الحيوانات يوم القيامة قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾ [التكوير: ٥]».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَتُؤَدَّنَّ الحقوق إلىٰ أهلها يوم القيامة حتىٰ يُقْتَصَّ للشَّاة الْجَمَّاءِ من الشَّاة القرناء تنطحها**».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إذا كان هذا حكم الحيوانات التي ليست مُكلَّفةً، فلتخليص الحقوق من الآدميين والجانِّ بعضهم من بعض يوم القيامة أولىٰ وأحْرَىٰ».

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «فإذا فرغ من الحكم بينها - البهائم - قال لها: كوني ترابًا، فتصير ترابًا». قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

وبعد أن يفرغ الله من القضاء بين البهائم يقضي بين البشر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «إنَّه بعد أن يَفْرُغَ الله سبحانه من الفصل بين البهائم، يشرع في القضاء بين العباد، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يونس: ٤٧].

---

(١) البداية والنهاية (٢٠/ ١٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٦٩).

(٣) البداية والنهاية (٢٠/ ١٧).

ويكون أول الأمم يقضي بينهم هذه الأُمَّةُ؛ لشرف نبيها ﷺ وفضلها».

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**أولُ ما يُقْضَىٰ بين النَّاس يوم القيامة في الدِّماء**»، رواه البخاري ومسلم.

هذا أول ما يقضىٰ فيه بين الناس من حقوق المخلوقين، أمَّا أول ما يقضىٰ فيه بين الناس من حق الله عَزَّوَجَلَّ فالصلاة.

قال العلامة أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٦٥٦هـ)**[1]: «قوله: «**إنَّ أول ما يقضىٰ بين النَّاس يوم القيامة في الدِّماء**» هذا يدلُّ علىٰ أنَّه ليس في حقوق الآدميين أعظم من الدِّماء. ولا تعارض بين هذا وبين قوله ﷺ: «**أول ما يُحاسَبُ به العبد من عمله الصلاة**»؛ لأنَّ كلَّ واحد منهما أوَّلُ في بابه.

فأوَّلُ ما ينظر فيه من حقوق الله الصلاة؛ فإنَّها أعظم قواعد الإسلام العمليَّة. وأول ما ينظر فيه من حقوق الآدميين الدِّماء؛ لأنَّها أعظم الجرائم».

وسؤال المخلوق يعمُّ كلَّ شيء، لا يختص بالصلاة والدماء؛ قال تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

وعن أبي برزه الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنّ النبي ﷺ قال: «**لا تزولُ قدما ابن آدم يوم القيامة حتىٰ يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه فيما عمل به**»، رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وإذا قامت القيامة وجيء بجهنَّم جثا الناس كلهم علىٰ ركبهم من هول ما

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (٥/ ٤٢).

يرون، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الجاثية: ٢٧، ٢٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قال تعالىٰ: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾ [الجاثية: ٢٨] أي: علىٰ ركبها من الشدة والعظمة، ويقال: إنَّ هذا إذا جيء بجهنَّم فإنها تزفر زفرةً، لا يبقىٰ أحد إلا جثا لركبتيه».

يُحشر الكفَّار من قبورهم إلىٰ المحشر عطاشًا، قال تعالىٰ: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦].

قال العلَّامة عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيره: ﴿وِرْدًا﴾: عطاشًا، مشاةً علىٰ أرجلهم، قد تقطعت أعناقهم من العطش.

وحقيقة الوِرْد: الجماعة التي تَرِدُ الماء، ولا يَرِدُ أحدٌ الماء إلا بعد العطش».

يقوم الكافرون بين يدي الله في المحشر أذلاء صاغرين، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: ١٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «يخبر تعالىٰ عن حال المشركين يوم القيامة، وحالهم حين عاينوا البعث، وقاموا بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ حقيرين ذليلين، ناكسي رؤوسهم، أي: من الحياء والخجل، يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾ [السجدة: ١٢] أي: نحن الآن نسمع قولك ونطيع أمرك، كما قال تعالىٰ: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٦١٤).

(٢) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٦٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٦/ ١٤١).

وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَاۗ﴾ [مريم: ٣٨]. وكذلك يعودون علىٰ أنفسهم بالملامة إذا دخلوا النَّار بقولهم: ﴿لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]. وهكذا هؤلاء يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا﴾ [السجدة: ١٢] أي: إلىٰ الدار الدُّنيا، ﴿نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢] أي: قد أيقنا وتحققنا أن وعدك حق ولقاءك حق، وقد علم الرب تعالىٰ منهم أنه لو أعادهم إلىٰ دار الدُّنيا لكانوا كما كانوا فيها كفارًا يكذِّبون بآيات الله ويخالفون رسله».

ويساق من الكافرين من المحشر إلىٰ جهنَّم أولًا أغلظ الكافرين كفرًا وأشدهم عتوًّا، قال تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ٦٨ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ٦٩ ثُمَّ لَنَحۡنُ أَعۡلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمۡ أَوۡلَىٰ بِهَا صِلِيّٗا ٧٠﴾ [مريم: ٦٨-٧٠].

قال العلَّامة عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا﴾ [مريم: ٦٩]، أي: لنأخذن من كل فرقة وطائفة أعتاهم وأعصاهم فنطرحهم في النَّار علىٰ ترتيب دركاتهم، ونبدأ بأولاهم بالعذاب فأولاهم».

يساق المؤمنون جماعات إلىٰ الجنَّة، وتتلقاهم الملائكة بالبشارة والسلام والثناء والتعظيم، ويساق الكافرون جماعات إلىٰ النَّار سوقًا عنيفًا، تتلقاهم الملائكة بالتوبيخ والتنكيل.

قال تعالىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٩).

يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [الزمر: ٧١-٧٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هذا إخبار عن حال السُّعداء المؤمنين، حيث يساقون علىٰ النجائب وفدًا إلىٰ الجنَّة زمرًا، أي: جماعة بعد جماعة، المقربون ثم الأبرار، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كل طائفة مع من يناسبهم: الأنبياء والصديقون مع أشكالهم، والشهداء مع أضرابهم، والعلماء مع أقرانهم، وكل صنف مع صنف، كل زمرة يناسب بعضها بعضًا».

قال مقاتل بن حيَّان: بلغنا أن الملك الذي كان وكل بحفظ عمله في الدُّنيا يمشي بين يديه في الجنَّة، ويتبعه ابن آدم حتىٰ يأتي أقصىٰ منزل هو له، فيعرفه كل شيء أعطاه الله تعالىٰ في الجنَّة، فإذا انتهىٰ إلىٰ أقصىٰ منزله في الجنَّة دخل إلىٰ منزله وأزواجه، وانصرف الملك عنه. رواه ابن أبي حاتم[2].

وتطمين الملائكة للمؤمن يكون وقت الاحتضار حين مفارقته للدنيا، وفي قبره، وإذا بُعث منه، وفي عرصات يوم القيامة حتىٰ يدخل الجنَّة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٧١، ٤٧٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٦٥٢).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قوله: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [فصلت: ٣١] أي: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم في الحياة الدنيا، أي: قرناءكم في الحياة الدُّنيا، نسددكم ونوفقكم، ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة؛ نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصِّراط المستقيم، ونوصلكم إلىٰ جنات النعيم».

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال**: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا كان يوم القيامة جُمعت الأمم، ودُعي كل أناس بإمامهم**»، إلىٰ أن قال: «**حتىٰ يبقىٰ المسلمون، فيقف عليهم، فيقول: من أنتم؟ فيقولون: نحن المسلمون. قال: خير اسم وخير داعية. فيقول: من نبيكم؟ فيقولون: محمد، فيقول: ما كتابكم؟ فيقولون: القرآن، فيقول: ما تعبدون؟ فيقولون: نعبد الله وحده لا شريك له. قال: سينفعكم ذلك إن صدقتم. قالوا: هذا يومنا الذي وعدنا. فيقول: أتعرفون الله إن رأيتموه؟ فيقولون: نعم. فيقول: وكيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون: نعلم أنه لا عدل له. قال: فيتجلىٰ لهم** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، **فيقولون: أنت ربنا تباركت أسماؤك. ويخرون له سجدًا، ثم يمضي النور بأهله**».

خرَّجه أبو إسماعيل الأنصاري في كتاب «الفاروق».

وفي المحشر يُعرف المؤمنون من الكافرين بسيماهم، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٦، ١٠٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٥٢٦).

يُحشر الكافرون يوم القيامة سود الوجوه زُرْق العيون، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢].

قال الحافظ عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني يوم القيامة.

﴿زُرْقًا﴾ **يريد:** زُرْق العيون، والزُّرْقَة: الخضرة في سواد العين، والعَرَبُ تتشاءَمُ بِزُرْقَةِ العيون؛ لأنَّ الروم أعداؤهم، وهم بهذه الصفة، يشير إلىٰ تشويه خلْقهم بزُرقَةِ عيونهم وسواد وجوههم بسخط الله عليهم.

وقال الزهري: زُرْق العيون من شدَّة العطش.

وقال ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿زُرْقًا﴾: عُمْيًا؛ لأنَّ حَدَقَة من يذهب بصره تزرقُّ».

وإذا جاء الله عَزَّوَجَلَّ للقضاء بين عباده أُمر الخلق جميعًا بالسجود، فيسجد من كان يسجد لله وحده في الدُّنيا، ويعجز المنافقون عن السجود.

قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «ثبت في الصحيح من غير وجه عن النَّبي ﷺ، أنه قال: «**يتجلىٰ الله لعباده في الموقف، إذا قيل: ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون؛ فيتبع المشركون آلهتهم، ويبقىٰ المؤمنون، فيتجلىٰ لهم الربُّ الحقُّ في غير الصورة التي كانوا يعرفون فينكرونه، ثم يتجلىٰ لهم في الصورة التي يعرفون؛ فيسجد له المؤمنون، وتبقىٰ ظهور المنافقين كقرون البقر، فيريدون أن يسجدوا فلا يستطيعون، وذلك قوله:** ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] **الآية**»».

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٥٦٥).

(٢) الجامع لكلام شيخ الإسلام في التفسير (٦/ ٣٨٢).

ويكلم الله عَزَّوَجَلَّ عباده وأولياءه المؤمنين يوم القيامة كلام الرضا، فيكون ذلك طمأنينة لهم في الموقف، وبشارة لهم بالجنَّة.

عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**إن شئتم أنبأتكم بأول ما يقول الله** عَزَّوَجَلَّ **للمؤمنين يوم القيامة، وبأول ما يقولون له**»، قالوا: نعم يا رسول الله قال: «**فإن الله يقول للمؤمنين: هل أحببتم لقائي؟**» فيقولون: نعم يا ربَّنا، فيقول: «**وما حملكم علىٰ ذلك؟**»، فيقولون: عَفْوُك ورَحْمَتُك ورِضْوَانُكَ، فيقول: «**فإنِّي قد أوجبت لكم رحمتي**»، رواه أبو داود الطيالسي.

وتطمئن الملائكةُ المؤمنينَ يومئذ في هذا الموقف العظيم، قال تعالىٰ: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وأمَّا الكفار فيحتجب الله عنهم، قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، ويكلمهم الله كلام التوبيخ، لا كلام الرحمة والرضا.

وبعد حشر الموقف يُضم المؤمنون جميعًا ليساقوا إلىٰ الجنَّة وفدًا، ويساق الكافرون إلىٰ جهنَّم وردًا.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن الْحَشْر هُوَ الضَّم وَالْجَمع، وَيُرَاد بِهِ تَارَة الْحَشْر إِلىٰ موقف الْقِيَامَة كَقَوْلِ النَّبِي ﷺ: «**إنكم مَحْشُورُونَ إلىٰ الله حُفَاة عُرَاة غرلًا**»، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]، وَيُرَاد بِهِ الضَّم وَالْجمع إِلَىٰ دَار المستقر؛ فحشر الْمُتَّقِينَ جمعهم وضمهم إلىٰ الْجنَّة، وَحشر الْكَافرين جمعهم

(١) بدائع التفسير (٢/ ١٩٣، ١٩٤).

وضمهم إلىٰ النَّار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣] فَهَذَا الْحَشْر هُوَ بعد حشرهم إلىٰ الْموقف، وَهُوَ حشرهم وضمُّهم إلىٰ النَّار؛ لأنَّه قد أخبر عَنْهُم أنهم قَالُوا: ﴿يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الصافات: ٢٠، ٢١]، ثمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]، وَهَذَا الْحَشْر الثَّانِي».

وأما صفة سوق الكافرين إلىٰ جهنَّم، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥].

قال الحافظ عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أي: لنأخذنَّ بناصيته، ولنسحبنَّه بها إلىٰ النَّار».

ويُعرض الكافرون علىٰ النَّار في المحشر ليجمع الله لهم بين العذاب النفسي والبدني، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾ [الشورىٰ: ٤٤، ٤٥].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قوله: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: علىٰ النَّار ﴿خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ﴾ أي: الذي قد اعتراهم بما أسلفوا من عصيان الله

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٨/ ٦٨٥).
(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٥٦٠، ٥٦١).

تعالىٰ، ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورىٰ: ٤٥]، قال مجاهد: يعني ذليل، أي ينظرون إليها مسارقة خوفًا منها، والذي يحذرون منه واقع بهم لا محالة، وما هو أعظم ممَّا في نفوسهم، أجارنا الله من ذلك».

وتُعرض جهنم علىٰ الخلق أجمعين وهم في الموقف، فإذا رآها الكافرون ازدادت حسرتهم وعذابهم وشقاؤهم بمصيرهم إليها، واطمأن المؤمنون إلىٰ نجاتهم منها بما يرجون من رحمة الله، وما هداهم إليه من عبوديته وحده وطاعته.

قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٤-٤١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ أي: أُظهرت للناظرين فرآها الناس عيانًا».

وقال تعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الكهف: ٩٩، ١٠٠].

قال أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قوله: ﴿فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾، يقول: فجمعنا جميع الخلق حينئذ لموقف الحساب جمعًا.

وقوله: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾، يقول: وأبرَزْنا جهنَّم يوم يُنفَخُ في الصور، فأظهَرْناها للكافرين بالله حتىٰ يَرَوْها ويعاينوها».

والنار كما يبصرها الناس وهم في المحشر، فهي كذلك تبصرهم، قال

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤٧٧).

(٢) جامع البيان (١٥/ ٤١٩).

تعالىٰ: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قوله: ﴿إِذَا رَأَتْهُم﴾ أي: جهنم ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ يعني في مقام الحشر».

والنار كما أنّها تبصر الكافرين في المحشر فهي مطلعة عليهم إذا دخلوها، فتصيبهم بما هي مأمورة به من عذاب الله.

قال تعالىٰ: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾ [الهمزة: ٦، ٧].

والنار تُنادي وتكلم من هو من أصحابها، قال تعالىٰ: ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٧﴾ [المعارج: ١٧].

قال الحافظ الحسين بن محمد البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قيل: تَدعُو؛ أي: تُعَذِّبُ، قال أعرابي لآخر: دَعَاك الله؛ أي: عَذَّبَك الله؛ وقيل: تَدْعُوا، أي: تُنَادي.

قيل في التَّفسير: إنَّ جَهَنَّم تَدْعُو الكافر باسمه. وقيل: دَعْوَتُهَا إياهم: ما تفعل بهم من الأفاعيل، تقول العَرَبُ: دعانا غَيْثٌ وقع بناحية كذا؛ أي: كان ذلك سببًا لانْتِجَاعِنَا إِيَّاهُ».

وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبي ﷺ قال: «**لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد حتىٰ يضع الجبار فيها قدمه، فتقول: قط قط**».

قال العلامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إنّ هذا النطق من جهنم علىٰ

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٥٧٩).

(٢) شرح السنة (٣/ ٢٨٣٤، ٢٨٣٥).

(٣) تفسير القرآن (٥/ ٢٤٥).

طريق الحقيقة».

يجمع الله عَزَّوَجَلَّ الخلق أجمعين في المحشر، الأولين والآخرين، المؤمنين والكافرين، وتقترب الشمس من الخلائق مقدار ميل، ويصيب الناس بسبب ذلك كرب عظيم، إلىٰ أن يقضىٰ بينهم الحساب؛ فيسعد من يؤمر به إلىٰ الجنَّة، ويشقىٰ من يؤمر به إلىٰ النَّار.

والمؤمنون في المحشر يظلهم الله بظل عرشه، يوم لا ظل إلا ظله، والكافرون يظلهم لهيب ودخان النَّار، نسأل الله العافية.

قال تعالىٰ للكافرين: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾﴾ [المرسلات: ٢٩-٣٣].

قال الحافظ عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قال ابن قتيبة وغيره: الظِّلُّ هاهنا: ظل من دخان نار جهنَّم، سطع ثم افترق ثلاث فِرَق، وهكذا شأن الدخان العظيم تراه يتفرَّق ذوائب إذا ارتفع، فيقال لهم: كونوا فيه إلىٰ أن يُفرغ من الحساب، كما يكون أولياء الله في ظل عرشه».

فيتمايز الفريقان؛ فريق في الجنَّة وفريق في السعير، قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا﴾ [سبأ: ٢٦]، أي: يوم القيامة، يجمع بين الخلائق في صعيد واحد، ﴿ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ﴾، أي: يحكم بيننا بالعدل، فيجزي كل عامل بعمله؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرّ.

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٨/ ٤٣٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٨٢، ٢٨٣).

وستعلمون يومئذ لمن العزة والنصرة والسعادة الأبدية، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الروم: ١٤-١٦] ؛ ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦] أي: الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور».

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «يقول تعالىٰ مخبرًا عمَّا يؤول إليه حال الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازوا، بمعنىٰ: يتميزون عن المؤمنين في موقفهم؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ [يونس: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم: ١٤]، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]، أي: يصيرون صدعين فرقتين، ﴿۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣]».

وحسنات الكافرين لا وزن لها يوم القيامة؛ لأنَّها مبنية علىٰ الكفر، يوفون أجورهم بها في الدُّنيا: من سعة الرزق، والعافية في البدن، والسلامة من بعض المصائب، وربَّما كانت سببًا في تخفيف العذاب عنهم يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾، وقال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣٤٩).

﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨].

قال العلَّامة عبد الرَّحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أعمال الكفار ﴿لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ﴾ ولا علىٰ مثقال ذرة منه؛ لأنَّه مبني علىٰ الكفر والتَّكذيب».

❁ ❁ ❁

(١) تيسير الكريم الرَّحمن (٣/ ١٣).

الحساب

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالحساب، وهو حق لا ريب فيه، وذلك أنَّ الله لم يخلق خلقه عبثًا، ولم يكتب لهم الخلود في الدُّنْيَا، قال تعالىٰ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

وفي الحديث القدسي الذي يرويه النَّبيُّ ﷺ عن ربِّه، أنَّه قال: «**إنما هي أعمالكم، أحصيها لكم ثم أُوَفِّيكُمْ إيَّاها**»، رواه مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

وقال تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣].

قال العلَّامة أبو عبد الله عبيد الله بن بطة العكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن الله عَزَّوَجَلَّ يسأل العباد عن كل قليل وكثير في الموقف، وعن كل ما اجترحوا، ليسأل الصادقين عن صدقهم».

والحساب يوم القيامة بالعدل، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «حاكم العدل لا يجور، وإنَّما يجازي بالعدل».

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ

(١) الشرح والإبانة علىٰ أصول السُّنَّة والديانة (ص٢٢٥).

(٢) مجموع مؤلفات الحافظ ابن رجب (١/ ١٣٥).

أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠].

فالله عَزَّوَجَلَّ يقبل القليل من العمل، ويضاعف حسناته، ويغفر كل الزلل لمن تاب منه.

ومن العدل في الحساب يوم القيامة أن يقيم الله عَزَّوَجَلَّ الإنسان حسيبًا علىٰ نفسه، قال تعالىٰ: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «عدل الله عليك، من جعلك حسيب نفسك».

حساب المؤمنين أنواع بحسب تحققهم بإخلاص التوحيد، والإتيان بشعب الإيمان، والمسارعة في الخيرات؛ فأكمل الناس توحيدًا يدخلون الجنَّة بغير حساب، والسابقون للخيرات تُعرض أعمالهم، والظالمون لأنفسهم يُناقش حسابهم.

وأما الكافرون فإنَّهم يعرفون بسيماهم، فيؤمر بهم إلىٰ النَّار، لا يسألون عن ذنوبهم سؤال استعلام، وإنَّما يُسألون سؤال توبيخ وتقريع.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص: ٧٨].

قال العلَّامة أبو المظفَّر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٤٨٩ هـ)**[2]: «قَوله: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ أَي: يَوْم الْقِيَامَة، فَإِن قَالَ قَائِل: قد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٩٢] وأمثال هَذَا من الْآيَات، وَهَاهُنَا قَالَ: ﴿وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص: ٧٨]، فَكَيف وَجه التَّوْفِيق بَين الْآيَتَيْنِ؟ وَالْجَوَاب: إِنَّا بيَّنا أَن فِي الْقِيَامَة مَوَاقِف؛ فَفِي موقف يُسْأَلُون، وَفِي موقف لَا يُسْأَلُون، وَيُقَال: لَا يسْأَلُون سُؤال استعلام، وَإِنَّمَا يُسْأَلُون سُؤال تقريع

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ١٣٩).

(٢) تفسير القرآن (٤/ ١٥٧).

وتوبيخ، وَيُقَال: لَا يسْأَلُون سُؤال من لَهُ عذر فِي الْجَواب، وَإِنَّمَا يسْأَلُون علىٰ معنىٰ إِظْهَار قبائحهم ليفتضحوا علىٰ رُءُوس الْجمع.

وَعَن قَتَادَة قَالَ: الْكَافِر لَا يُحَاسب، بل يُؤمر بِهِ إِلَىٰ النَّار من غير حِسَاب وَلَا سُؤال. وَقَالَ بَعضهم: وَلَا يُسْأَل عَن ذنوبهم المجرمون؛ لأَنهم يُعْرفُونَ بِسِيمَاهُمْ، قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الرحمن: ٤١]».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وأمَّا الكفار فلا يُحاسبون محاسبة من تُوزن حسناته وسيئاته؛ فإنه لا حسنات لهم، ولكن تُعَدُّ أعمالهم فتُحصىٰ، فيُوقفون عليها، ويقرَّرُون بها».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صفة حساب الكافر[2]: «إنَّ الحساب يُراد به عرض أعمالهم - الكفار - عليهم وتوبيخهم عليها، ويُراد بالحساب موازنة الحسنات بالسيئات. فإن أريد بالحساب المعنىٰ الأوَّلُ فلا ريب أنهم يُحاسبون بهذا الاعتبار.

وإن أريد المعنىٰ الثاني، فإن قُصِدَ بذلك أنَّ الكفار تبقىٰ لهم حسنات يستحقون بها الجنَّة؛ فهذا خطأ ظاهر. وإن أُريد أنهم يتفاوتون في العقاب؛ فعقاب من كثرت سيئاته أعظم من عقاب من قلَّت سيئاته، ومن كان له حسنات خُفِّف عنه العذاب، كما أنَّ أبا طالب أَخَفُّ عذابًا من أبي لهب. وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨]، وقال تعالىٰ ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓـُٔ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]، والنَّار دركات، فإذا كان بعض الكفار عذابه أَشَدُّ عذابًا من بعض - لكثرة سيئاته وقلة حسناته -؛ كان

(١) العقيدة الواسطية (ص٤٠).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٣٠٥، ٣٠٦).

الحساب لبيان مراتب العذاب، لا لأجل دخولهم الجنَّة».

صفة حساب المؤمن تختلف عن صفة حساب الكافر؛ فالمحسن يحاسبه الله حسابًا يسيرًا، يستر الله عليه ذنوبه، ويتقبل الله منه أحسن ما عمل، ويتجاوز عن سيئاته، والكافر يُنادىٰ به علىٰ رؤوس الخلائق: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ويؤمر به إلىٰ النار، يدلُّ لذلك ما رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «**يُدني الله المؤمن حتىٰ يضع كنفه، فيقرره بذنوبه، تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف رب، أعرف، فيقول: سترتها في الدنيا، وأغفرها لك اليوم. ثم يعطىٰ صحيفة حسناته، وأما الكافر أو المنافق فيقول الأشهاد:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾».

لذلك قال الله عَزَّوَجَلَّ في وصف حساب الكافرين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد: ١٨].

قال العلامة عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: المناقشة بالأعمال.

وقال النخعي: هو أن يحاسب الرجل بذنبه كله، ولا يغفر له منه شيء.

وقيل: هو أن لا تُقبل منهم حسنة، ولا يتجاوز لهم عن سيئة».

وقد ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أصناف الناس وأحوالهم في الدار الآخرة، وصفة حسابهم، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٧١).

وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ﴿١١﴾ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ٦-١٢].

فذكر الله عَزَّوَجَلَّ عاقبة الناس بحسب سعيهم في الدُّنيا؛ فالمؤمنون سعوا في فكاك رقابهم من النَّار، وحققوا الإيمان بالأعمال الصالحة التي كانت سببًا في يسر حسابهم ودخولهم الجنَّة، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا﴾ [الإسراء: ١٩]، فالمؤمنون هم أصحاب اليمين.

والكافر الذي أوتي كتابه وراء ظهره كان كافرًا بالآخرة والحساب، فكان كفره سبب خلوده في النَّار ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤]، وهذا حال كثير من كفرة زماننا هذا.

هذه القسمة الثنائية لكل الخلق، دلَّ عليها أيضًا حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النَّبي ﷺ قال: «**كل الناس يغدو؛ فبائع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها**»، رواه مسلم.

فأصناف الناس ثلاثة يوم الحساب، قال تعالىٰ: ﴿وَكُنتُمۡ أَزۡوَٰجٗا ثَلَٰثَةٗ ﴿٧﴾ فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [الواقعة: ٧-١٢].

قال شيخ المفسرين أبو جعفر محمد بن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٣١٠ هـ)**[1]: «هذا بيان من الله عن الأزواج الثلاثة، يقول جلَّ وعزَّ: وكنتم أزواجًا ثلاثة: أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة، والسَّابقون.

فجعل الخبر عنهم مُغْنِيًا عن البيان عنهم علىٰ الوجه الذي ذكرنا، لدلالة الكلام علىٰ معناه، فقال: ﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾ [الواقعة: ٨] يُعَجِّب

(١) جامع البيان (٢٢/ ٢٨٦، ٢٨٧).

نبيَّه محمدًا منهم، وقال: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٢٧] الذين يُؤخَذ بهم ذات اليمين إلىٰ الجنَّة، أيُّ شيءٍ أصحابُ اليمين! ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ [الواقعة: ٩] يقول تعالىٰ ذكره: وأصحاب الشمال الذين يُؤخَذ بهم ذات الشمال إلىٰ النَّار، والعرب تُسمِّي اليدَ اليُسْرَىٰ: الشُّؤمَىٰ، ومنه قول أعشىٰ بني ثعلبة:

فَأَنْحَىٰ علىٰ شُؤْمَىٰ يَدَيْهِ فَذَادَها بِأَظْمَأَ مِنْ فَرْعِ الذُّؤَابَةِ أَسْحَمَا

وقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]، وهم الزوج الثالث، وهم الذين سبقوا إلىٰ الإيمان بالله ورسوله، وهم المهاجرون الأوّلون».

فالكافرون هم أصحاب الشمال، أصحاب المشأمة، يؤتون كتبهم بشمائلهم، وتلوىٰ شمائلهم إلىٰ وراء ظهورهم، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البلد: ١٩، ٢٠].

قال شيخنا العلَّامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنه يؤتىٰ كتابه بالشمال، ولكن تلوىٰ يده حتىٰ تكون من وراء ظهره، إشارة إلىٰ أنه نبذ كتاب الله وراء ظهره؛ فيكون الأخذ بالشمال ثم تلوىٰ يده إلىٰ الخلف إشارة إلىٰ أنه قد ولىٰ ظهره كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ولم يبال به، ولم يرفع به رأسًا، ولم ير بمخالفته بأسًا».

وقد ذكر الله أقسام المؤمنين في يوم الدين بحسب سعيهم في الدنيا، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [فاطر: ٣٢، ٣٣].

فكل المؤمنين يدخلون الجنَّة، أكملهم من يكون من أسبق المؤمنين إلىٰ

(١) تفسير جزء عم (ص١١٤).

دخولها، ولم يلحقه عذاب، وعصاة المؤمنين منهم من يدخل الجنَّة بعد أن يدخل النَّار، ويُنقىٰ من ذنوبه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «المقتصد والسابق كلاهما يدخل الجنَّة بلا عقوبة، بخلاف الظالم لنفسه».

وقال العلَّامة أبو المظفَّر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «القول المشهور: أن الظالم لنفسه من المؤمنين، وعلىٰ هذا يستقيم نسق الآية».

وقال جعفر الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «أرجىٰ آية في كتاب الله تعالىٰ هذه الآية؛ لأنه جمع بين الظالم والمقتصد والسابق، ثم قال: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ [فاطر: ٣٣]».

فالمسلمون باعتبار الحساب يوم القيامة ثلاثة أصناف:

الأول: من يدخل الجنَّة بلا حساب، وهؤلاء هم صفوة الموحدين، وأكمل الناس إيمانًا، الذين لا يسترقون وعلىٰ ربهم يتوكلون، وهم سبعون ألفًا؛ كما جاء في الصحيحين من حديث ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وقد ورد مرفوعًا من حديث ثوبان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ «**مع كل ألف سبعين ألفًا**»[٤].

وورد مرفوعًا أيضًا أنَّ: «مع كل واحد أو رجل سبعين ألفًا»[٥].

---

(١) الجامع لكلام شيخ الإسلام في التفسير (٥/ ٣١٤).

(٢) تفسير القرآن (٤/ ٣٥٨).

(٣) تفسير القرآن (٤/ ٣٥٩، ٣٦٠).

(٤) رواه أحمد (٥/ ٢٨٠)، وصححه الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٩٥)، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٢٩)، من حديث أبي أمامة الباهلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وجوَّد إسناده ابن كثير في تفسيره (٢/ ٩٨)، ورواه أحمد من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وجوَّد إسناده ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٤١١).

(٥) رواه أبو يعلىٰ (٦/ ٤١٧)، وجوَّد إسناده ابن كثير في التفسير (١/ ١٠٠).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هذا يحتمل أن يكون مع كل واحد من الألوف، ويحتمل أن يكون مع كل واحد من الآحاد، وهو أشمل وأكثر».

الثاني: من يُحاسب حساب عرض، وهؤلاء هم أولياء الله المُتَّقُون، تُعرض أعمالهم مجرَّد عرض بلا نقاش، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**ليس أحد يُحاسب يوم القيامة إلا هلك**»، فقلت: يا رسول الله، أليس قد قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧، ٨]، فقال رسول الله ﷺ: «**إنما ذلك العرض، وليس أحد يُناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّب**»، متفق عليه.

قال سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «معنىٰ قول النَّبيِّ ﷺ: «**من نُوقش الحساب عُذِّبَ**»، النَّقْشُ: هو الاستقصاء، حتىٰ لا يُتْرَك منه شيء. ثم قال سفيان: أبشروا، فإنه ما استقصىٰ كريم قطُّ».

الثالث: من يحاسب حساب مناقشة، فيحاسب حسابًا شديدًا، ويدخل النَّار، ثم يدخل الجنَّة بعد ذلك.

قال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: السابق هو الذي لا يحاسب أصلًا يوم القيامة، والمقتصد هو الذي يُحاسب حسابًا يسيرًا، ويدخل الجنَّة، والظالم هو الذي يُحاسب حسابًا شديدًا ويدخل النَّار ثم ينجو[٣].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قالت**: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته: «**اللهم حاسبني حسابًا يسيرًا**»، فلمَّا انصرف قلت: يا رسول الله، ما الحساب

(١) البداية والنهاية (٢٠/ ٦٢).

(٢) سنن الصالحين (٢/ ٨٥٣).

(٣) تفسير القرآن لأبي المظفَّر السمعاني (٤/ ٣٥٩).

اليسير؟ قال: «**أن ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه، إنه من نُوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك**»، رواه أحمد[١].

والله عَزَّوَجَلَّ يجازي بالإحسان إحسانًا، فمن أحسن في دنياه أحسن الله إليه في دنياه وبرزخه وآخرته، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٥-١٩].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إن جزاءهم من جنس أعمالهم، فكما أخذوا ما أمرهم به في الدُّنيا وقابلوه بالرضا والتسليم وانشراح الصدر؛ أخذوا ما آتاهم من الجزاء كذلك.

ثم ذكر السبب الذي أوصلهم إلىٰ ذلك، وهو إحسانهم المتضمن لعبادته وحده لا شريك له، والقيام بحقوقه وحقوق عباده، ثم ذكر ليلهم وأنهم قليل هجوعهم منه».

والويل والوعيد والعذاب الشديد لمن ضل عن الهدىٰ، وكفر بالله، وسعىٰ في العمل الباطل، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤]، وقال تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الطور: ١١-١٤].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «ذكر أعمالهم وعلومهم التي كانوا عليها، وهي

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «صحيح علىٰ شرط مسلم»، تفسير القرآن العظيم (٧/ ٥١٨).

(٢) بدائع التفسير (٣/ ٣٥).

(٣) بدائع التفسير (٣/ ٥٥).

الخوض الذي هو كلام باطل، واللعب الذي هو سعي ضائع؛ فلا علم نافع ولا عمل صالح».

من أحسن في دنياه بالعمل الصالح؛ فقد أتىٰ بأسباب السلامة من أهوال يوم القيامة، وحسن الخاتمة من أسباب النجاة من النار، ومن أسباب نماء ثواب الأعمال الصالحة.

قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [هود: ١٠٣].

قال الحافظ عبد الرزاق الرسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «مجموع فيه المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وأهل السماء وأهل الأرض.

﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ يشهد فيه الخلائق الموقف للفصل والقضاء والجزاء».

فمن استجاب لله في دنياه بالإيمان والعمل الصالح؛ نجاه الله من أهوال يوم القيامة، وأدخله جنته.

قال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ﴾ [آل عمران: ١٩٢-١٩٥].

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يُبعث كُلُّ عبد علىٰ ما مات عليه**» رواه مسلم.

قال الحافظ النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قال العلماء: معناه: يُبعث علىٰ الحالة التي مات عليها».

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٢٢٩).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٧/ ٢١٠).

الحوض

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالحوض، وكان اعتقاد النَّبيِّ ﷺ به يقينًا، لذلك أخبر أمته به.

فالحوض مخلوق موجود الآن، قال شيخنا العلَّامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هو موجود الآن؛ لقوله ﷺ: «**إني والله لأنظر إلىٰ حوضي الآن**»».

وتحدَّث الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن موقعه، فقال[٢]: «الحوض في موقف القيامة قبل الصِّراط؛ لأنَّه يُخْتَلَجُ عنه، ويُمْنَعُ منه أقوام قد ارتدوا علىٰ أعقابهم، ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصِّرَاطَ».

وقال العلَّامة أبو عبد الله القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «المعنىٰ يقتضيه، فإنَّ الناس يخرجون عِطاشًا من قبورهم كما تقدم، فَيُقَدَّم قبل الصِّراط والميزان».

والعلم بالحوض واعتقاد ثبوته ووجوده من علم العَامَّةِ، يعرفه الخاص والعام، وما كان يجهله العجائز ولا العامة، فضلًا عن العلماء.

قال أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٤]: «قد تركت بعدي عجائز، ما تُصَلِّي وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ صلاةً إلا سألت ربها أن يوردها حوض محمَّد ﷺ».

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد (ص٨١).

(٢) البداية والنهاية (١٩/ ٤٢٦).

(٣) التذكرة في أحوال الموتىٰ وأمور الآخرة (ص٢٦٢).

(٤) رواه أبو يعلىٰ في مسنده (٦/ ٩٦- رقم ٦٠٠)، والحاكم في المستدرك وصححه (١/ ٨٧)، ووافقه الذهبي.

الحوض مادَّته من الكوثر، وهو نهر في الجنَّة، له ميزابان يَمُدَّانِ الحوض، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

قال العلَّامة عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «الذي عليه جمهور المفسِّرين وتدل عليه الأخبار والآثار: أنَّه نهر في الجنَّة».

وقال ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **عن الكوثر**: «الخير الكثير الذي أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ رسوله ﷺ»، رواه البخاري.

ولم ينفِ ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ الكوثر نهر من الجنَّة؛ فهو نهر، وهو من الخير الكثير الذي أعطاه الله عَزَّوَجَلَّ نبيه ﷺ، رواه البخاري.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «وقد صح عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنّه فسَّره بالنهر أيضًا».

وقد ذكر أبو بشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقالة ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لسعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال سعيد: «النهر الذي في الجنَّة من الخير الذي أعطاه الله إياه»، رواه البخاري.

وقد جاء عن النَّبيِّ ﷺ وصف الكوثر بأنَّه نهر وأنه خير كثير.

عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لأصحابه: «**هل تدرون ما الكوثر؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**هو نهر أعطانيه ربِّي عَزَّوَجَلَّ في الجنَّة، عليه خير كثير**»، رواه مسلم.

والأحاديث الواردة في صفة الحوض كثيرة متواترة، وممَّا ورد فيه حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ حوضي أبعد من أيلة من عدن، لهو أشد بياضًا من الثَّلْج، وأحلىٰ من العسل باللَّبَنِ، ولآنيته أكثر من عَدد النُّجوم،**

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٨/ ٧٤٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٦٧١).

وإنِّي لَأَصُدُّ النَّاس عنه، كما يَصُدُّ الرَّجُلُ إبل الناس عن حوضه».

قالوا: يا رسول الله، أتَعْرفنا يومئذ؟ قال: «**نعم، لكم سِيمَا ليست لأحد من الأمم، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِين من أثر الوضوء**»، رواه مسلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «تلخَّص من مجموع هذه الأحاديث المتواترة صِفَةُ هذا الحوض العظيم، والْمَوْرِدِ الكريم الممد من شراب الجنَّة، من نهر الكَوْثَر، الذي هو أَشَدُّ بياضًا من اللَّبَن، وَأَبْرَدُ من الثَّلْجِ، وأَحْلَىٰ من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عَرْضه وطُوله سواء، كلُّ زاوية من زواياه مسيرة شهر، وأنه يَنْبُتُ في حَالٍ من المِسْكِ، وَرَضْرَاضٍ من اللُّؤْلُؤِ؛ فسبحان الخالق الذي لا يُعْجِزُهُ شيء، لا إله إلا هو، ولا مَعْبُودَ سِوَاه».

ويُذادُ عن الحوض من كذَّب به، وهم الخوارج وطوائف من المعتزلة والملاحدة.

قال أبو بَرْزَةَ الأسلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**من كذَّبَ به فلا سَقَاهُ الله منه**»[٢].

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «أَخْلِقْ بهم أن يُحال بينهم وبين وروده، كما قال بعض السلف: من كَذَّبَ بكَرامة لم يَنَلْهَا».

وقول النَّبي ﷺ: «**سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي**»، يدلُّ علىٰ أنَّ المُبَدِّل المرتد يُذاد عن الحوض.

قال شريك بن عبد الله القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في المَذُودِين عن الحوض[٤]: «أَهْلُ الرِّدَّةِ».

---

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٤٦٦).

(٢) رواه أبو داود، كتاب السُّنَّة، باب في الحوض (رقم ٤٧٤٩).

(٣) البداية والنهاية (١٩/ ٤٢٣).

(٤) تاريخ واسط (ص٢٦٠).

وقال العلَّامة عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «المبتدعون الذين بَدَّلُوا سُنَّتَهُ، وأحلوا مَحَلَّها بِدْعَتَهُمْ؛ فإنَّه ﷺ يُبْعِدُهُمْ عنه بقوله: «**فَسُحْقًا، فَسُحْقًا، فَسُحْقًا**»».

❁ ❁ ❁

(١) ابن باديس حياته وآثاره (٢/ ٣١٥).

الميزان

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالميزان، وهو ميزان حقيقيٌّ له كفتان توزن فيه أعمال الخلق وصحائف أعمالهم.

والأدلة علىٰ ثبوت الميزان: القرآن، ومتواتر السُّنَّة، والإجماع.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨، ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أن النَّبيَّ** ﷺ **قال: «كلمتان خفيفتان علىٰ اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلىٰ الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»**، رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النَّبيَّ ﷺ قال: «**الحمد لله تملأ الميزان**»، رواه مسلم.

إلىٰ غير ذلك من الأحاديث الكثيرة الصحيحة الدالة علىٰ أنَّ الميزان حق.

قال ابن أبي عاصم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الأخبار التي في ذكر الميزان أخبار كثيرة،

(١) السُّنَّة (٢/ ٣٦٣).

صحاح، لا تَذْهَبُ عن أهل المعرفة بالأخبار؛ لكثرتها وصحتها وشُهْرتها، وهي من الأخبار التي توجب العلم».

وقال العلَّامة محمد بن أحمد السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في أحاديث الميزان**[١]: «قد بلغت أحاديثه مبلغ التَّوَاتُرِ».

وأجمعت الأمَّة علىٰ إثبات الميزان والإيمان به حقيقةً، قال أبو زرعة وأبو حاتم الرَّازيَّان[٢]: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار - حجازًا وعراقًا ومصرًا وشامًا ويمنًا -، فكان من مذهبهم: الميزان حق، الذي له كفَّتان، يوزن فيه أعمال العباد حسنها وسَيِّئُهَا حقٌّ».

والحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن أورد جملة من أحاديث الميزان قال[٣]: «قد أجمع علىٰ معناها الأمَّة».

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «الإيمان بالميزان كما جاء «**يوزن العبد يوم القيامة فلا يزن جناح بعوضة**»، وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر».

وقال أبو عبد الله عبيد الله بن بطة العُكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «إن الإيمان بالميزان واجب لازم».

وقال الحافظ ابن ناصر الدِّين الدمشقيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٦]: «إثبات ميزان الآخرة مذهب الفرقة النَّاجية القاهرة، ومن خالفهم رُمي بمخالفة الشريعة، ونُبِزَ بالبدعة

---

(١) لوامع الأنوار (٢/ ١٨٥).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ١٧٧).

(٣) منهاج السلامة في ميزان يوم القيامة (ص١١٨).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (١/ ١٧٨).

(٥) الشرح والإبانة (ص٢٢٣).

(٦) منهاج السلامة في ميزان يوم القيامة (ص١٣٠).

الشنيعة».

والوزن يكون بعد الحساب، قال القرطبي: قال العلماء: إذا انقضىٰ الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأنَّ الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة؛ فإنَّ المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها[١].

وتأوَّلت المعتزلة الميزان علىٰ أنَّه العدل والقضاء[٢]، وأنَّه مُجَرَّدُ مثل، توهمًا منهم أنَّ الأعمال أعراض لا تقبل الوزن! كذا قالوا.

والذي لا مِرْيَةَ فيه أنَّ الميزان حقيقيٌّ، وأنَّ الوَزْنَ حقيقيٌّ، فهناك ميزان تُوزن فيه الأعمال وصحائفها ويَثْقُلُ وتَرْجَحُ إحدىٰ كفتيه.

وكذلك العبد يُوزن، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إنَّه ليأتي الرَّجُلُ العظيم السَّمِينُ يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة. وقال: اقرءوا إن شئتم**: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»، متفق عليه.

وأخبر النَّبيُّ ﷺ أنَّ سَاقَيْ عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أثقل في الميزان من أُحُد، رواه أحمد[٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[٤]: «أمَّا الميزان الموضوع يوم القيامة فقد تواترت بذكره الأحاديث كما رأيت، وهو ظاهر القرآن العظيم ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ [المؤمنون: ١٠٢]، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [المؤمنون: ١٠٣]، وهذا إنما يكون

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٧٢).

(٢) منهاج السلامة (ص١٢٧).

(٣) قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «إسناده جيد قوي»، البداية والنهاية (١٩/ ٥٠٦).

(٤) البداية والنهاية (١٩/ ٥١٤).

لشيء محسوس».

وقال الحافظ ابن كثير مبطلًا اعتراض المعتزلة(١): «إنَّ العمل نفسه وإن كان عرضًا قد قام بالفاعل، يُحيلُه الله تعالىٰ يوم القيامة فيجعله ذاتًا تُوضع في الميزان».

والنصوص السابقة التي ذكرتها دلَّت علىٰ وزن الأعمال، ووزن العامل، وجاءت نصوص أخرىٰ تدلُّ علىٰ وزن صحائف الأعمال.

عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يستخلص رجلًا من أمتي علىٰ رءوس الخلائق يوم القيامة، فَيَنْشُرُ عليه تسعة وتسعين سِجِلًّا، كل سجلٍّ مَدُّ البصر، ثم يقول له: أَتُنْكر من هذا شيئًا؟ أَظَلَمَك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ، فيقول: لا يا رَبِّ، فيقول: بلىٰ، إنَّ لك عندنا حسنة واحدة، لا ظُلْم عليك اليوم: فَتُخْرَجُ له بطاقة، فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، فيقول: أَحْضِرُوه، فيقول: يا ربِّ، ما هذه البطاقة مع هذه السِّجلَّات؟ فيقول: إنَّك لا تُظْلَمُ.**

قال: «**فتُوضَع السِّجلَّاتُ في كفَّة، والبطاقة في كِفَّةٍ**».

قال: «**فطاشت السِّجلَّاتُ وثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ**»، رواه أحمد وحسنه الترمذي(٢).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «تقدَّم ما يَدُلُّ علىٰ الأول - وزن العمل -، وعلىٰ الثاني - وزن كتب الأعمال -، وعلىٰ أنَّ العامل نفسه يُوزن مع عمله».

والأحاديث النبوية تدلُّ علىٰ أن الميزان واحد، والقرآن ورد بذكر موازين متعددة، قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

---

(١) البداية والنهاية (١٩/ ٥٠٢).

(٢) وصححه ابن حبان (١/ ٢٢٤)، وجوَّده ابن ناصر الدين الدمشقي في منهاج السلامة (ص٥١).

(٣) البداية والنهاية (١٩/ ٥١٤).

قال شيخنا العلَّامة محمَّد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قال بعضهم: هو ميزان واحد؛ لأنَّه ورد في الحديث مُفْرَدًا، وأمَّا جَمْعُهُ في القرآن فباعتبار الموزون».

وذكر بعض العلماء في صفة الميزان أنَّ له لسانًا، وليس في ذلك شيء مرفوع عن النَّبيِّ ﷺ، وإنَّما هي آثار عن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا والحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

والأثر عن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لا يصحُّ[٢]، وأمَّا أثر الحسن البَصْرِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فهو حسن[٣].

قال عبد الملك بن أبي سليمان: ذُكر الميزان عند الحسن، فقال: «له لسان وكفَّتان»[٤].

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]:

أفمـــا تُصـــدِّق أن أعمـــال العبـــا ... د تُحَـطُّ يـوم العَـرْض في الميـزانِ؟

وكـذاك تَثْقُـلُ تـارةً وتخـفُّ أخـ ... ـرَىٰ ذاك في القـــرآن ذو تبيـــانِ

ولـــه لســـان كِفتـــاه تقُيمـــه ... والكِفَّتَـــانِ إليـــه ناظرتـــانِ

مـا ذاك أمـرًا معنويًّـا بـل هـو الـ ... ـمَحْسُوسُ حَقًّا عنـد ذي الإيمـانِ

وقال العلَّامة محمَّد بن أحمد السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٦]: «قد دَلَّت الآثار علىٰ أنَّه ميزان حقيقي ذو كِفَّتَيْنِ ولِسَانٍ».

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد (ص١٢١).

(٢) منهاج السلامة (ص١٠٤).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (٦/ ١٢٤٥)، ومنهاج السلامة (ص١٠٤).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة (٦/ ١٢٤٥)، ومنهاج السلامة (ص١٠٤).

(٥) النونية بشرح ابن عيسىٰ (٢/ ٥٩٣).

(٦) لوامع الأنوار (٢/ ١٨٥).

الصراط

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالصِّراط، وهو جسر منصوب علىٰ جهنَّم، أدق من الشعرة وأحد من السيف.

قال العلَّامة محمَّد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الصِّراط هو الطريق، وسُمِّي الصِّراط طريقًا؛ لأنه يُعبر منه إلىٰ الجنَّة. يمرُّ علىٰ وسط النَّار حتىٰ ينتهي إلىٰ الجنَّة، ولا يُمرُّ إلىٰ الجنَّة إلا منه».

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**يُضرب الصِّراط بين ظهري جهنَّم، فأكون أنا وأمتي في أول من يجوز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، فدعاء الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم. وفي جهنَّم كلاليب كشوك السعدان**. قال رسول الله ﷺ: «**هل رأيتم السعدان؟**»، قالوا: نعم، قال: «**فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه ما يدري ما قدر عظمها إلا الله تعالىٰ، فتخطف الناس بأعمالهم**»، رواه البخاري ومسلم.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن النَّبي ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ: لتلحق كلُّ أمَّة ما كانت تعبد، فلا يبقىٰ أحد كان يعبد صنمًا ولا وثنًا ولا صورة، إلا ذهبوا يتساقطون في النَّار، ويبقىٰ من كان يعبد الله وحده من بر وفاجر وغبرات أهل الكتاب، ثم تعرض جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا، ثم يُضرب الجسر**. قلنا: وما الجسر يا رسول الله، بأبينا أنت

(١) شرح العقيدة الواسطية (ص١٥٧).

وأمنا؟ قال: **دحض مزلة له كلاليب، خطاطيف وحسكة، تكون بنجد يقال لها: عقيفًا، يقال له: السعدان، فيمر المؤمنون كلمح البرق وكالطرف وكالريح وكالطير وكأجود الخيل والراكب؛ فناجٍ مسلَّم، ومخدوش مرسل، ومكدوش في نار جهنَّم، فوالذي نفسي بيده ما أحدٌ بأشد مناشدة في الحقِّ يراه مُضِيًّا له من المؤمنين في إخوانهم**».

الصِّراط مزلة مدحضة، كلاليبه تخطف الكافرين، أي تأخذهم سريعًا إلىٰ جهنَّم؛ فهم أولىٰ بها، لا يجوزون الصِّراط إلىٰ الجنَّة.

وكذلك المنافقون يُحال بينهم وبين الجنَّة، وينتهي بهم سيرهم في المحشر إلىٰ النَّار، وبئس المصير.

ويجوز الناس الصِّراط بحسب سيرهم علىٰ الصِّراط في الدُّنيا، فمن استبق الخيرات واتبع صراط الله المستقيم، ولازم السير عليه مجتنبًا البدع والمحدثات وأنواع الضلالات؛ سار آمنًا علىٰ صراط الآخرة، ومرَّ مرور البرق، ومن تثاقل عن الطاعات واتبع الشهوات؛ تخطفته كلاليب الصِّراط.

قال العلَّامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قد حُفَّ به - الصراط - كلاليب، هو مثل السير علىٰ الصِّراط المعنوي، وهي شُبهُ التردد والتثاقل والسير بالهوينا، فكما أنَّ الكلاليب في هذا الصِّراط المعنوي في الدُّنيا من الشبهات والشهوات تخطفهم، فتلك الكلاليب تخطف الناس علىٰ قدر ما تخطفهم الشبهات والشهوات في تلك الأعمال، وبسبب الأعمال، فكما خطفتهم في الدُّنيا خطفتهم في الآخرة».

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (ص١٥٨).

وكل مخلوق لابُدَّ أن يمرَّ علىٰ الصِّراط، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١، ٧٢].

فمن اتقىٰ الله في الدُّنيا نجَّاه الله في الآخرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فيه بيان نعمة الله علىٰ المتقين: أنَّهم مع الورود والعبور عليها وسقوط غيرهم فيها نجوا منه».

ومن السلف من فسَّر الورود في الآية بورود النَّار، فيجعلها الله بردًا وسلامًا علىٰ المؤمنين، وينجيهم منها، فتكون معاينتهم لها إظهارًا لفضل الله عليهم بنجاتهم منها، ومرور الناجين علىٰ الصِّراط هو معنىٰ ورودهم النَّار.

قال شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يُرِدُها الجميع ثم يصدُر عنها المؤمنون، فينجيهم الله، ويهوي فيها الكفار، ووروده‍موها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ من مرورهم بها علىٰ الصِّراط المنصوب علىٰ متن جهنَّم»

والورود يأتي بمعنىٰ الحضور والرؤية دون الدخول، قال العلَّامة أبو المظفَّر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «قد يُذكر الْوُرُود بِمَعْنىٰ الْحُضُور، قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: ٢٣]، أَي: حضر».

وقال العلَّامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «الوارد في النَّار يمرون فوقها علىٰ الصِّراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيًّا».

---

(١) تفسير شيخ الإسلام (٤/ ٢٩٠).

(٢) جامع البيان (١٥/ ٦٠١).

(٣) تفسير القرآن (٣/ ٣٠٧).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٧١).

ومن العلماء من قال: إنَّ ورود النَّار لا يستلزم دخولها.

قال العلَّامة ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إن ورود النَّار لا يستلزم دخولها، وإنَّ النجاة من الشرِّ لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوُّه ليهلكوه ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا﴾ [هود: ٥٨]، ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا﴾ [هود: ٦٦]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا﴾ [هود: ٩٤]. ولم يكن العذاب أصابهم، ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصَّهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك».

وقد فسَّر حبرا الأُمَّة وساداتها في التفسير ابن مسعود وابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا الورود بدخول النَّار[٢].

ومن العلماء من جعل دخول النَّار خاصًّا بالكافرين، وهذا قول عكرمة وسعيد بن جبير[٣]، وهو مروي عن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا[٤].

وقال أبو سمية[٥]: اختلفنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا: يدخلونها جميعًا، ثم يُنجِّي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فقلت له: إنَّا اختلفنا في الورود، فأهوىٰ بأصبعيه إلىٰ أذنيه، وقال: صُمَّتا إن لم أكن سمعت النَّبيَّ ﷺ يقول: «**الورود الدخول، لا يبقىٰ برٌّ ولا فاجر إلا دخلها، فتكون علىٰ المؤمن بَرْدًا وسلامًا كما كانت علىٰ إبراهيم، حتىٰ قال: إنَّ للنار - أو قال: لجهنَّم - ضجيجًا من بردهم، ثُمَّ يُنَجِّي الله الذين اتقوا ويذر**

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (ص٤٧١).

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (١٥/ ٥٩٤).

(٣) تفسير القرآن لأبي المظفَّر السمعاني (٣/ ٣٠٧).

(٤) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٥١).

(٥) مشهور بكنيته، الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنىٰ (٣/ ١٥٨٤).

الظالمين فيها جثيًّا»، رواه أحمد.

قال الحافظ عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فإن قيل: فما تصنع بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢]، وبقوله: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، والمؤمنون آمنون من الخزي؟ قلت: لا يلزم من ورود النَّار علىٰ الوجه الذي ذكرناه سماع حسيسها، ولا الدخول علىٰ وجه الخزي؛ فإن ذلك يكون إذا دخلها دخول تعذيب وخلود، لا دخول ورود».

والذي يدل لقول ابن مسعود وابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ الورود هو دخول النَّار؛ هو ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النَّار، إلا تحِلَّة القسم**»، قال الزهري: كأنه يريد هذه الآية ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، رواه أبو داود الطيالسي.

ومجموع ما ورد من الأخبار فيمن يدخل النَّار يدل علىٰ أنَّ عصاة الموحدين إذا دخلوا النَّار عُذِّبوا فيها بقدر ذنوبهم، ثم يحييهم الله في نهر الحياة ثم يدخلون الجنَّة بعد ذلك، وهؤلاء هم الجهنَّميون.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ﴾ [مريم: ٧١].

قال عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ورود المسلمين المرور علىٰ الجسر بين ظهرانيها، وورود المشركين أن يدخلوها»، رواه الطبري.

يُساق النَّاس إلىٰ الصِّراط، فإذا انتهوا إلىٰ الصِّراط طفئ نور المنافقين،

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٤٥٣).

وأشفق المؤمنون أن يطفأ نورهم، فيقولون: ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: ٨]، ويبشرهم الله بالطمأنينة والجنَّة[١].

قال تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢].

فالصِّراط المنصوب علىٰ جهنَّم الإيمان به يقين، دلَّ علىٰ ذلك القرآن والسنَّة والآثار عن الصَّحابة والتابعين، وهو ممَّا أجمعت عليه الأُمَّة، لا يُكذِّب به إلا كافر مشاق للمؤمنين غير متَّبع لسبيلهم.

قال أبو زرعة وأبو حاتم الرَّازيان رحمهما الله[٢]: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار - حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا - فكان من مذهبهم: الصِّراط حقٌّ».

وقال العلَّامة حافظ بن أحمد حكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «قد أنكر الصِّراط والمرور عليه أهل البدعة والهوىٰ من الخوارج، ومن تابعهم من المعتزلة، وتأوَّلوا الورود برؤية النَّار، لا أنَّه الدخول والمرور علىٰ ظهرها، وذلك لاعتقادهم أنَّ من دخل النَّار لا يخرج منها، ولو بالإصرار علىٰ صغيرة؛ فخالفوا الكتاب والسُّنَّة والجماعة، وردُّوا الآيات والأحاديث الواردة في الورود والمقام المحمود والشفاعة».

الحديث عن اليوم الآخر فيه شرح إلىٰ ما يصير إليه الناس، فالناس يصيرون إلىٰ الله، قال تعالىٰ: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [آل عمران: ١٠٩].

تصير الناس إلىٰ جزاء ما عملت في الدُّنيا، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ١٧٦، ١٧٧).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ١٩٨، ١٩٩).

(٣) معارج القبول (٢/ ٨٥٦).

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

قال جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قلت: يا رسول الله! إلىٰ ما ينتهي الناس يوم القيامة؟ قال: «**إلىٰ أعمالهم، من يعمل مثقال ذرَّة خيرًا يره، ومن يعمل مثقال ذرَّة شرًّا يره**» رواه الحارث بن أبي أسامة.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

وقال سبحانه عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ٦-١٢].

قال العلَّامة عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قال ابن عبَّاس وقتادة وعامَّة المفسِّرين: إنك عامل لربك عملًا».

❁ ❁ ❁

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٨/ ٥٥١).

الشفاعة

ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالشفاعة في ذلك اليوم، بنوعيها العام والخاص؛ فنؤمن بشفاعة النبي ﷺ إلىٰ ربه في أهل الموقف في أن يُقضىٰ بينهم، ونؤمن بشفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر من أمته، ونؤمن بشفاعة المؤمنين بأنواعهم فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها، وفيمن دخلها أن يخرج منها، وشفاعتهم في رفعة درجات المؤمنين في الجنة.

وَالشَّفَاعَةُ ثَابِتَةٌ بِالْكِتَابِ، وَمُتَوَاتِرِ السُّنَّةِ، وَالْإِجْمَاعِ.

أَمَّا الْكِتَابُ فَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَرُ: ٤٤]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢٥٥]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ٢٨].

وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ فَسَيَأْتِي ذِكْرُ بَعْضِهَا، وَهِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا بَلَغَتْ حَدَّ التَّوَاتُرِ[(١)]، قَالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «هِيَ مِنَ الْمُتَوَاتِرِ الْقَطْعِيِّ».

وَالشَّفَاعَةُ نَوْعَانِ: عَامَّةٌ، وَخَاصَّةٌ:

أَمَّا الْعَامَّةُ فَهِيَ فِيمَنِ اسْتَحَقَّ دُخُولَ النَّارِ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا[(٣)]، وَفِيمَنْ دَخَلَهَا أَنْ

---

(١) ساق الحافظ الذهبي وحده في كتابه «إثبات الشفاعة» أحاديث ثلاثة وعشرين صحابيًّا، وقد جمع محدث اليمن العلامة مقبل الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الشفاعة» الأحاديث فيه بما لم يسبق إليه، جاوز مجموعها المائتين.

(٢) إثبات الشفاعة (ص٢٠).

(٣) قال د: عبد العزيز الشهوان محقق كتاب التوحيد لابن خزيمة (٢/ ٥٩٠) معلقًا علىٰ هذا القسم؛ ما =

يَخْرُجَ مِنْهَا، وَهِيَ عَامَّةٌ لِكُلِّ شَافِعٍ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمَلَائِكَةِ وَالشُّهَدَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ.

لِذَلِكَ جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: «شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ؛ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَمًا»(١).

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الْخَاصَّةُ فَهِيَ الَّتِي لَا يُشَارِكُ فِيهَا أَحَدٌ نَبِيَّنَا ﷺ، وَهِيَ أَنْوَاعٌ:

(١) الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى:

وَهُوَ أَنْ يَشْفَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ فِي أَنْ يُقْضَىٰ بَيْنَهُمْ بَعْدَ أَنْ يَعْتَذِرَ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ(٢)، وَهَذَا هُوَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي يَبْعَثُهُ اللهُ لِنَبِيِّنَا صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

فَائِدَةٌ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ الْعَزِيزِ غُلَامُ الْخَلَّالِ(٣): سَمِعْتُ بَعْضَ شُيُوخِنَا يَقُولُ: إِنَّمَا امْتَنَعَ سَائِرُ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الشَّفَاعَةِ؛ لِأَنَّهُمْ عُوتِبُوا قَبْلَ الْغُفْرَانِ، فَأَحْجَمَهُمْ عَنِ الْهُجُومِ عَلَيْهِ، وَنَبِيُّنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ غُفِرَ لَهُ قَبْلَ الْعِتَابِ».

(٢) الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ فِي أَنْ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ:

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ**

=

نصه: «لم أقف إلىٰ الآن علىٰ حديث يدل عليه»!

قال شيخنا العلامة محمد العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا قد يستدل عليها بقول الرسول ﷺ: «**ما من مسلم يموت فيقوم علىٰ جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله شيئًا، إلا شفعهم الله فيه**»؛ فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار، فيشفعهم الله في ذلك». القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد (١/ ٣٣٥).

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ (١٣/ ٤٢٠ - رقم ٧٤٣٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طرق الرؤية (١/ ١٦٧ - رقم ٣٠٢) واللفظ له.

(٢) رواه البخاري (٦/ ٣٧١ - رقم ٣٣٤٠)، ومسلم (١/ ١٨٤ - رقم ٣٢٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) بدائع الفوائد (٤/ ٢١٦).

الْقِيَامَةِ، فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ. فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»(١).

(٣) شَفَاعَتُهُ ﷺ فِي عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ:

أَبُو طَالِبٍ مَاتَ كَافِرًا عَلَىٰ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَالْكَافِرُ لَا تَنْفَعُهُ الشَّفَاعَةُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [الْمُدَّثِّرُ: ٤٨]، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَدْ شَفَعَ فِي عَمِّهِ؛ لِنُصْرَتِهِ لَهُ، فَلَمْ تَنْفَعْهُ شَفَاعَتُهُ كَامِلَةً، فَلَمْ تُخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، وَلَكِنَّهَا خَفَّفَتْ عَنْهُ الْعَذَابَ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ سِوَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَقَدْ قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ نَفَعْتَ أَبَا طَالِبٍ بِشَيْءٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: **«نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»**(٢).

وَالنَّاسُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ مَقَامَاتٌ، وَأَعْظَمُهُمْ مَقَامًا نَبِيُّنَا ﷺ؛ لِذَلِكَ فَهُوَ صَاحِبُ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، ثُمَّ يَتَفَاوَتُ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي شَفَاعَاتِهِمْ تَبَعًا لِمَقَامَاتِهِمْ.

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَشْفَعُ لِلْفِئَامِ مِنَ النَّاسِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْقَبِيلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلْعُصْبَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لِلرَّجُلِ حَتَّىٰ يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ»(٣).

الْخَوَارِجِ، وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَالزَّيْدِيَّةِ، أَنْكَرُوا الشَّفَاعَةَ لِأَهْلِ الذُّنُوبِ، وَقَالُوا: «مَنْ يَدْخُلُ النَّارَ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا لَا بِشَفَاعَةٍ، وَلَا غَيْرِهَا». وَعِنْدَ هَؤُلَاءِ مَا ثَمَّ إِلَّا مَنْ

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب في قول النبي ﷺ: **«أنا أول الناس يشفع في الجنة»** (١/ ١٨٨ - رقم ٣٣٠).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ لأبي طالب (١/ ١٩٤ - رقم ٣٥٧).

(٣) رواه الترمذي، كتاب «صفة القيامة»، باب ما جاء في الشفاعة (٤/ ٦٢٧ - رقم ٢٤٤٠).
وقال العلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الشفاعة» ص(١٦٨): «هذا حديث حسن».

يَدْخُلُ الْجَنَّةَ فَلَا يَدْخُلُ النَّارَ، وَمَنْ يَدْخُلُ النَّارَ فَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجْتَمِعُ عِنْدَهُمْ فِي الشَّخْصِ الْوَاحِدِ ثَوَابٌ وَعِقَابٌ(١).

وَاحْتَجَّ هَؤُلَاءِ الْمُنْكِرُونَ لِلشَّفَاعَةِ بِالنُّصُوصِ الَّتِي فِيهَا نَفْيُ الشَّفَاعَةِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٤٨].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [الْبَقَرَةُ: ١٢٣].

وَقَوْلِهِ: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢٥٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غَافِرُ: ١٨].

وَقَوْلِهِ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [الْمُدَّثِّرُ: ٤٨].

وَجَوَابُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ هَذَا يُرَادُ بِهِ شَيْئَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ الْمُشْرِكِينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾، وَمَفْهُومُ الْمُخَالَفَةِ أَنَّ غَيْرَهُمْ تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ؛ كَمَا نَبَّهَ عَلَىٰ هَذَا الطَّحَاوِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢).

قَالَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ: «كُنْتُ أَشَدَّ النَّاسِ تَكْذِيبًا بِالشَّفَاعَةِ، حَتَّىٰ لَقِيتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ كُلَّ آيَةٍ أَقْدِرُ عَلَيْهَا فِيهَا ذِكْرُ خُلُودِ النَّارِ، فَقَالَ لِي: أَتُرَاكَ أَقْرَأَ لِكِتَابِ اللهِ وَأَعْلَمَ بِالسُّنَّةِ مِنِّي؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَإِنَّ الَّذِي قَرَأْتَ هُمُ الْمُشْرِكُونَ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ أَصَابُوا ذُنُوبًا، فَعُذِّبُوا ثُمَّ أُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ. وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَىٰ أُذُنَيْهِ، فَقَالَ: «صُمَّتَا إِذَا لَمْ أَكُنْ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَقْرَأُ

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ص(١٠-١١).

(٢) شرح مشكل الآثار (١٤/ ٣٥١).

الَّذِي تَقْرَؤُهُ»[(١)].

وَالثَّانِي: أَنَّهُ يُرَادُ بِذَلِكَ نَفْيُ الشَّفَاعَةِ الَّتِي أَثْبَتَهَا أَهْلُ الشِّرْكِ، وَمَنْ شَابَهَهُمْ مِنْ أهل البدع، الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّ لِلْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ مِنَ الْقَدْرِ أَنْ يَشْفَعُوا عِنْدَهُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، كَمَا يَشْفَعُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ عِنْدَ بَعْضٍ، فَيَقْبَلُ الْمَشْفُوعُ إِلَيْهِ شَفَاعَةَ شَافِعٍ؛ لِحَاجَتِهِ إِلَيْهِ رَغْبَةً وَرَهْبَةً، وَكَمَا يُعَامَلُ الْمَخْلُوقُ بِالْمُعَاوَضَةِ.

فَالْمُشْرِكُونَ كَانُوا يَتَّخِذُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُفَعَاءَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُصَوِّرُونَ تَمَاثِيلَهُمْ فَيَسْتَشْفِعُونَ بِهَا، وَيَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ خَوَاصُّ اللهِ، فَنَحْنُ نَتَوَسَّلُ إِلَىٰ اللهِ بِدُعَائِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ؛ لِيَشْفَعُوا لَنَا، كَمَا يُتَوَسَّلُ إِلَىٰ الْمُلُوكِ بِخَوَاصِّهِمْ؛ لِكَوْنِهِمْ أَقْرَبَ إِلَىٰ الْمُلُوكِ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَيَشْفَعُونَ عِنْدَ الْمُلُوكِ بِغَيْرِ إِذْنِ الْمُلُوكِ، وَقَدْ يَشْفَعُ أَحَدُهُمْ عِنْدَ الْمَلِكِ فِيمَا لَا يَخْتَارُهُ فَيَحْتَاجُ إِلَىٰ إِجَابَةِ شَفَاعَتِهِ رَغْبَةً وَرَهْبَةً.

فَأَنْكَرَ اللهُ هَذِهِ الشَّفَاعَةَ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [الْبَقَرَةُ: ٢٥٥]، وَقَالَ: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النَّجْمُ: ٢٦]، وَقَالَ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يُونُسُ: ١٨][(٢)].

وإذا جاوز المؤمنون الصِّراط صاروا إلىٰ قنطرة يتقاصُّون فيها مظالمهم، فقد روىٰ البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسول الله ﷺ

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٣٠)، والطحاوي في مشكل الآثار (١٤/ ٣٤٩ - رقم ٥٦٧١).

(٢) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ص(١١).

قال: «إذا خلص المؤمنون من النَّار حبسوا بقنطرة بين الجنَّة والنَّار، فيتقاصُّون مظالم كانت بينهم في الدُّنيا حتىٰ إذا هُذِّبوا ونُقُّوا؛ أُذن لهم بدخول الجنَّة، والَّذي نفسي بيده، إنَّ أحدهم بمنزله في الجنَّة أدلُّ منه بمسكنه كان في الدُّنيا».

وكان هذا التقاصُّ سببًا لدخول المؤمنين الجنَّة سليمين من الضغائن، قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

قال العلَّامة ابن هُبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ الله تعالىٰ نزع الغل من قلوبهم وصدورهم، وفي تفسير هذا معنيان:

أحدهما: أن يكون المراد بنزع الغل إزالته من القلب.

والثاني: نزع موجباته».

وإذا اقتحم المؤمنون العقبة بفضل الله وإعانته الذي يسَّر لهم المرور علىٰ الصِّراط والنجاة من النَّار، وتجاوزوا القنطرة بعدها؛ دخلوا الجنَّة برحمة الله وعفوه وفضله، وصاروا من الآمنين.

ومن الأدعية الجامعة التي كان يدعو بها النَّبي ﷺ كما في الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ربنا آتنا في الدُّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النَّار**».

قال العلَّامة ابن هُبيرة الحنبليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «من طلب أن يؤتيه الله عَزَّوَجَلَّ في الدُّنيا حسنة وفي الآخرة حسنة؛ فقد طلب أن ينقله من عافية إلىٰ عافية، ويقلبه من نعمة إلىٰ نعمة، فلم يبق في ذلك ما يخاف علىٰ هذا العبد إلا ما عساه أن

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٦/ ٤٤٨).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ٢٤٩).

يتوجه إليه من عقوبة علىٰ خطاياه، ولما كان من الجائز أن ينال حسنة الآخرة بعد مسيس شيء من عذاب النَّار، فقال بعد السؤالين: وقنا عذاب النَّار؛ فتم له الدعاء وشمله الاحتياط».

❁ ❁ ❁

الجنة

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالجنَّة دار المتقين، قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٦٣].

والتقيُّ هو المسلم الذي أتىٰ بخصال البر وشعب الإيمان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «البرُّ إذا أُطلق كان مسماه مسمىٰ التقوىٰ، والتقوىٰ إذا أُطلقت كان مسماها مسمىٰ البرِّ».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يدخل الجنَّة إلَّا مؤمن**»، رواه البخاري ومسلم.

وعن الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنَّة إلا المؤمنون**»، رواه مسلم.

وإنما دخل المؤمنون الجنَّة بالإيمان والعمل الصالح، قال تعالىٰ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال تعالىٰ: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤]، وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٩].

وقيل لوهب بن مُنَبِّه: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنَّة؟ قال: بلىٰ، ولكن إن جئت بمفتاح له أسنان فُتح لك، وإلَّا لم يُفْتَحْ لك. ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به.

---

(١) الإيمان (ص١٦٦).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «يعني: لابُدَّ أن يكون مع التوحيد أعمال صالحة من فعل الطاعات وترك المُحَرَّمات».

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

قال العلَّامة المجدِّد عبد الرَّحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنَّ الفردوس يُطلق علىٰ البستان المحتوي علىٰ الكرم، أو الأشجار الملتفة، وهذا صادق علىٰ جميع الجنَّة[٣]؛ فجنة الفردوس نزل وضيافة لأهل الإيمان والعمل الصالح، وأي ضيافة أجل وأكبر وأعظم من هذه الضيافة، المحتوية علىٰ كل نعيم، للقلوب، والأرواح، والأبدان، وفيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين: من المنازل الأنيقة، والرياض الناضرة، والأشجار المثمرة، والطيور المغردة المشجية، والمآكل اللذيذة، والمشارب الشهية، والنساء الحسان، والخدم، والولدان، والأنهار السارحة، والمناظر الرائقة، والجمال الحسي والمعنوي، والنعمة الدائمة، وأعلىٰ ذلك وأفضله وأجله التنعم بالقرب من الرَّحمن، ونيل رضاه، الذي هو أكبر نعيم الجنان، والتمتع برؤية وجهه الكريم، وسماع كلام الرءوف الرحيم؛ فلله تلك الضيافة، ما أجلها وأجملها، وأدومها وأكملها!».

وإذا صار المؤمنون إلىٰ الجنَّة، لم يدخلوها حتىٰ يأذن الله عَزَّوَجَلَّ لسيِّد البشر بدخولها أولًا؛ إظهارًا لفضله علىٰ الخلق جميعًا، وإظهارًا لفضله في شفاعته للمؤمنين بدخول الجنَّة.

---

(١) البداية والنهاية (٢٠/ ٢٦٥).

(٢) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان (٣/ ١٨٨).

(٣) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفردوس اسم يقال علىٰ جميع الجنَّة، ويقال علىٰ أفضلها وأعلاها»، حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ٢٠١).

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**آتي باب الجنَّة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمَّد، فيقول: بك أُمرت أن لا أفتح لأحد قبلك**»، رواه مسلم.

وأمَّة محمد ﷺ أوَّل الأمم دخولًا الجنَّة، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ قال: «**نحن الآخرون الأوَّلون يومَ القيامة، نحن أوَّل الناس دخولًا الجنَّة**».

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «هذه الأمَّة أسبق الأمم خروجًا من الأرض، وأسبقهم إلىٰ أعلىٰ مكان في الموقف وأسبقهم إلىٰ ظل العرش، وأسبقهم إلىٰ الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلىٰ الجواز علىٰ الصِّراط، وأسبقهم إلىٰ دخول الجنَّة؛ فالجنَّة محرمة علىٰ الأنبياء حتىٰ يدخلها محمد ﷺ، ومحرمة علىٰ الأمم حتىٰ تدخلها أمَّته».

ومن فضائل أمَّة محمَّد ﷺ أنَّهم أكثر أهل الجنَّة، ففي الصحيحين من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «**أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنَّة؟**» فكبرنا، ثم قال: «**أما ترضون أن تكونوا ثلثَ أهل الجنَّة؟**» فكبرنا، ثمَّ قال: «**إنِّي لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنَّة، وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض**».

وعن بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**أهل الجنَّة عشرون ومئة صف، هذه الأمَّة منها ثمانون صفًّا**»، رواه أحمد والترمذي[2].

---

(١) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ٢٢٨).

(٢) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إسناده علىٰ شرط الصحيح»، حادي الأرواح (١/ ٢٥٢).

الجنَّة لا تفنىٰ ولا يفنىٰ نعيمها، ولا تفنىٰ حركات أهلها ونعيمهم، قال تعالىٰ: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فوائد هذه الآيات[1]: «إبطال قول من قال من الجهمية والمعتزلة بفنائها، أو فناء حركات أهلها».

فمن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنَّة، دار النعيم، مثوىٰ المؤمنين، جنة الخلد.

والجنَّة مخلوقة موجودة الآن، وأنكر القدرية والمعتزلة أن تكون الآن مخلوقة، وقالوا: بل ينشئها الله يوم المعاد، وقالوا: إنَّ خلقها قبل الجزاء عبث.

وهذا من جهلهم، فإنَّ الميت من حين وفاته يأتيه من نعيم الجنَّة إن كان من المؤمنين، وأرواح المؤمنين تسرح في الجنَّة، عن كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّما نَسَمَة المؤمن طيرٌ تعلقُ في شجر الجنَّة حتىٰ يرجعها الله إلىٰ جسده يوم القيامة**»، رواه مالك وأحمد والنسائي، وصححه ابن حبان.

وعن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جَنازة رجل من الأنصار، وهو يُلحد له، فقال النَّبي ﷺ: «**أنَّ الميت المؤمن تُقبض روحه ويُصعد بها إلىٰ السماء، فينادي منادٍ من السماء: أنْ صَدَقَ عبدي فافرشوه من الجنَّة، وألبسوه من الجنَّة؛ وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنَّة، فيأتيه من رَوْحِها وطيبها**»، رواه أحمد والحاكم وصححه ابن حبَّان.

والنَّبي ﷺ عندما عُرج به إلىٰ السماء، انطلق به جبريل حتىٰ أتىٰ سدرة

(١) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ١٩٦).

المنتهىٰ، قال النَّبي ﷺ: «**ثم أُدخلت الجنَّة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك**»، متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه.

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات أحدكم عُرض عليه مقعده بالغداة والعَشِيِّ؛ إن كان من أهل الجنَّة فمن أهل الجنَّة، وإن كان من أهل النَّار فمن أهل النَّار، فيُقال: هذا مقعدك حتىٰ يبعثك الله يوم القيامة**».

والأحاديث في هذا المعنىٰ كثيرة جدًّا.

وهذا ممَّا أجمع عليه أهل السُّنَّة والجماعة؛ أنَّ الجنَّة والنَّار مخلوقتان موجودتان الآن.

قال الخلال: قال الإمام أحمد رحمه الله[1]: «إنَّ الجنَّة والنَّار مخلوقتان قد خلقتا كما جاء الخبر، قال النَّبي ﷺ: «**دخلت الجنَّة فرأيت فيها قصرًا**»، و«**رأيت الكوثر**»، و«**اطلعت في النَّار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا**»، فمن زعم أنَّهما لم تُخلقا؛ فهو مكذِّب برسول الله ﷺ وبالقرآن، كافر بالجنَّة والنَّار، يُستَتَاب؛ فإن تاب وإلا قُتل».

وقال الإمام أحمد في رواية عبدوس العطَّار[2]: «الجنَّة والنَّار مخلوقتان، قد خُلقتا، كما جاء عن رسول الله ﷺ: «**اطلعت في الجنَّة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا، واطلعت في النَّار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا**»، فمن زعم أنَّهما لم تُخلقا؛ فهو مكذِّبٌ بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ، ولا أحسبُه يؤمن بالجنَّة والنَّار».

ومن نفىٰ أن تكون الجنَّة مخلوقة موجودة الآن، احتجَّ بأنَّ ذلك يستلزم

(١) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (ص٩٩، ١٠٠).

(٢) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (ص١٠٠).

فناءها؛ لقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وهذا ليس بلازم؛ لأنَّ ﴿كُلُّ﴾ بحسب ما سيقت له ممَّا أراد الله إفناءه، والله خلق الجنَّة والنَّار للبقاء لا للفناء.

واحتجَّ النفاة لوجود الجنَّة الآن بما جاء في بعض الأحاديث أنه تُبنىٰ دورها وقيعانها في المستقبل في النصوص الواردة في فضائل الأعمال، مثل حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقيت إبراهيم ليلة أُسري بي، فقال: يا محمد! أقرئ أُمَّتَكَ منِّي السَّلام، وأخبرهم أنَّ الجنَّة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنَّها قيعان، وأنَّ غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**»، رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب.

ومثل حديث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**من بنىٰ لله مسجدًا؛ بنىٰ الله له به بيتًا في الجنَّة**»، متفق عليه.

فالجواب أنَّ الجنَّة مخلوقة موجودة الآن، ولا يزال الله يُكمل خلقها.

الجنَّة في السماء بعد سدرة المنتهىٰ، وسقفها عرش الرَّحمن، كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٣-١٥].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ سدرة المُنتهىٰ فوق السَّماء، وسُميت بذلك؛ لأنَّه ينتهي إليها ما ينزل من عند الله فيُقْبَضُ منها، وما يَصْعَدُ إليه فيقبضُ منها».

الجنَّة دار السَّلام، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ

(١) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ١٢٨).

﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

فمن دخل الجنَّة كان من الآمنين، يُنعَّم أكمل النعيم، وهو في سلام، والله عَزَّوَجَلَّ يسلِّم علىٰ أهل الجنَّة، وكذلك الملائكة، والمؤمنون في الجنَّة يُسلم بعضهم علىٰ بعض.

قال تعالىٰ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

قال الحافظ عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «المعنىٰ: لهم ما يتمنونه، سلام، أي: هذا مُنىٰ أهل الجنَّة أن يُسلِّم الله تعالىٰ عليهم».

الجنَّة من دخلها كان من الآمنين، وكان من السالمين من كل آفة وشر، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحجر: ٤٥، ٤٦].

قال شيخنا العلَّامة محمَّد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «يقال لهم: ادخلوها بسلام آمنين من كلِّ آفة، من كلِّ مرض، من الهرم، من الموت، من كلِّ شيء».

وقال تعالىٰ: ﴿مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ ۖ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

قال الحافظ عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «هم في غرفات الجنَّة، آمنون من الموت، والغير، والخروج، وكل مخوف».

طيب العيش يكون في الجنَّة في جوار الله عَزَّوَجَلَّ، في ضيافته وإكرامه وإحسانه،

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٦/ ٣٥٠).

(٢) شرح رياض الصالحين (٦/ ٧٢٤).

(٣) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٦/ ٢٥٠).

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ [النبأ: ٣١-٣٦].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «أمَّا عيشُ المتقين في الجنَّة فلا يحتاج أنْ يُسأل عن طيبه ولذته، ويكفي في ذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢١-٢٤] الآيات، ومعنىٰ راضية أي: عيشةٌ يحصل بها الرضىٰ. وفسَّر ابنُ عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قوله: ﴿هَنِيٓـًٔۢا﴾ بأنه لا موت فيها، يُشير إِلَىٰ أنَّه لم يهنهم العيش إلَّا بعد الموت والخلود فيها.

قال يزيدُ الرقاشي: أمن أهلُ الجنَّة الموت فطاب لهم العيش، وأمنوا من الأسقام؛ فهنيئًا لهم في جوار الله طول المقام».

والمؤمنون في الجنَّة يتفكهون: أي: يتلذذون بكل نعيم يتمنونه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٥-٥٨].

فالمؤمنون فرحون متلذذون في أكنان القصور، متكئون علىٰ الأرائك، يتفكَّهون بالطعام خصوصًا الفاكهة، وبإتيان أزواجهم، ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾ [يس: ٥٧].

قال العلَّامة عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «أي: ما يتمنون ويشتهون».

ومن خير نعيم الجنَّة تسليم الله علىٰ المؤمنين في الجنَّة ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

---

(١) مجموع مؤلفات الحافظ ابن رجب الحنبلي (١/ ١٢٢).

(٢) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٦/ ٣٥٠).

فالمؤمنون في الجنَّة في ضيافة الكريم، الذي جعل الجنَّة مثوىٰ المؤمنين، وجعلهم في غاية الإكرام ﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ [الصافات: ٤٢].

ونعيم الجنَّة يتجدد للمؤمنين، يُنعِّمهم الله كل حين من فضله بأنواع الخيرات والمسرَّات، قال تعالىٰ: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢].

قال العلَّامة عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قال الحسن: كانت العرب لا تعرف شيئًا من العيش أفضل من الغداء والعشاء، فذكر الله تعالىٰ لهم ذلك.

قال زهير بن محمد: ليس في الجنَّة ليل ولا نهار، وهم في نور أبدًا، ولهم مقدار الليل والنهار، يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب وإغلاق الأبواب، ومقدار النهار برفع الحجب وفتح الأبواب.

وقيل: أراد دوام الرزق ودروره، كما تقول: أنا عند فلان صباحًا ومساءً وبكرةً وعشيًّا، يريد الدَّيْمُومَة، ولا يقصد الوقتين المعلومين».

وقال تعالىٰ عن الجنَّة: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٤٩-٥٤].

قال العلَّامة عبد الرَّحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «هذا يدل علىٰ كمال النعيم وكمال الراحة والطمأنينة وتمام اللذة».

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٤٤٠، ٤٤١).

(٢، ٢) تيسير الكريم الرَّحمن (ص٨٤٤).

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «﴿مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤] هو دائم مستقر في جميع الأوقات، متزايد في جميع الآنات».

نعيم الجنَّة لا كدر فيه، ولا يلحقه بؤس ولا شقاء، يدخل المؤمنون الجنَّة في أكمل خلق علىٰ صورة آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلُّ من يدخل الجنَّة علىٰ صورة آدم طوله ستون ذراعًا**».

وعن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النَّبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنَّة الجنَّة جردًا مردًا مكحلين بني ثلاث وثلاثين»، رواه أحمد والترمذي.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «إنَّه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذة؛ لأنَّه أكمل سن القوة مع عظم آلات اللَّذة، وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها، بحيث يصل في اليوم الواحد إلىٰ مئة عذراء».

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «من يدخل الجنَّة ينعم، لا يبأس، لا تبلىٰ ثيابه، ولا يفنىٰ شبابه»، رواه مسلم.

قال العلَّامة يحيىٰ بن محمد بن هُبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٥٦٠ هـ)**[٣]: «في هذا الحديث من الفقه أنَّ رسول الله ﷺ لم يرضَ أن يصف أهل الجنَّة بالنعيم فحسب حتىٰ نفىٰ عنهم البؤس؛ لأن الإنسان قد ينعم ثم يبأس، فأخبر بنفي ما يؤذي لو عرض مع حصول النعيم.

والبؤس: هو الشقاء وسوء العيش.

قوله: «**لا تبلىٰ ثيابه**»: يعني أنَّ ثيابهم ليست قابلة للبلاء.

وإن شبابهم ليس له غائلة ينتهي إليها؛ لأنه أحسن عمر الإنسان، فعمرهم

---

(٢) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ٣١٩).

(٣) الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ٣٨٩).

كله من أوله إلىٰ ما لا نهاية له: شباب كله».

ويجمع الله لأهل الجنَّة كل أصناف النعيم، نعيم القلب والروح والبدن، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١].

فالنضرة جمال الوجه بسبب سرور ونعيم القلب.

ينال المؤمنون في الجنَّة كل نعيم يتمنَّونه، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الزمر: ٣٣، ٣٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

قال الحافظ عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ أي: بغير تقدير، بل ما شاءوا من الزيادة، وما لم تبلغه الأماني».

ثواب المؤمن في الجنَّة لا يقدر قدره، ولا يحصيه إلا الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

قال العلَّامة عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ علىٰ طاعة الله وعن معصيته، وعلىٰ تجرُّع الغُصَص واحتمال البلاء ﴿أَجْرَهُم﴾ الذي جعله الله تعالىٰ جزاءً لهم علىٰ صبرهم ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾؛ أي: لا يحاسبون عليه، وقيل: بغير مكيال وغير ميزان، وهو تمثيل للكثرة.

قال ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: لا يهتدي إليه حساب الحُسَّاب، ولا يعرف».

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٦/ ٦١٩).

(٢) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٦/ ٥٢٩، ٥٣٠).

الجنَّة مقببة، والفردوس أعلاها وقبَّتها، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ في الجنَّة مائة درجة، أعدها الله عَزَّوَجَلَّ للمجاهدين في سبيله، بين كلِّ درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه وسط الجنَّة، وأعلىٰ الجنَّة، وفوقه عَرْشُ الرَّحْمَن، ومنه تَفَجَّرُ أنهار الجنَّة**»، رواه البخاري.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: «لا تكون هذه الصفةُ إلَّا في المُقَبَّب؛ فإنَّ أعلىٰ القُبَّة هو أوْسَطُها، فالجنَّة - والله أعلم - كذلك».

تتنعَّم أرواح المؤمنين وأجسادهم في الجنَّة أكمل النَّعيم، تنعَّم أرواحهم بذكر الله عَزَّوَجَلَّ، ويلهمون التسبيح.

عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أهل الجنَّة يُلهمون التسبيح والتحميد والتكبير، كما يُلْهَمُونَ النَّفَسَ**»، رواه مسلم[(٢)].

قال الحافظ ابن رجب الحنبليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٣)]: «تتزايد هناك لذةُ ذكره، عَلَىٰ ما كانت في الدُّنْيَا؛ فإنهم يُلهمون التسبيح كما يُلهمون النفسَ، وتصير كلمةُ التوحيد لهم كالماء البارد لأهل الدُّنْيَا».

أبواب الجنَّة ثمانية، وهي أبواب عظيمة لجنة عظيمة، قال تعالىٰ: ﴿۞ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**في**

---

(١) البداية والنهاية (٢٠/ ٢٧٠).

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنَّة ونعيمها، باب في صفات الجنَّة وأهلها، وتسبيحهم فيها بكرة وعشيًّا، (ص١٢٣٢- رقم ٧١٥٤، ٧١٥٥).

(٣) مجموع مؤلفات الحافظ ابن رجب الحنبلي (١/ ١٢٠).

الجنَّة ثمانية أبواب، باب منها يسمىٰ الرَّيَّان، لا يَدْخُلُهُ إلا الصَّائمون».

وعن الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النَّبي ﷺ قال: «**ما منكم من أحد يتوضَّأ فيُسْبغُ الوضوء، ثمَّ يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، إلَّا فُتحت له أبواب الجنَّة الثمانية يدخل من أيِّها شاء**»، رواه مسلم.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أنفق زوجين في سبيل الله؛ دُعي من أبواب الجنَّة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دُعِيَ من باب الصَّلاة، ومن كان من أهل الجهاد دُعِيَ من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دُعِيَ من باب الصَّدقة، ومن كان من أهل الصِّيام دُعِيَ من باب الرَّيَّان**»، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بأبي أنت وأمِّي يا رسول الله، ما علىٰ من دُعِيَ من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يُدعىٰ أحدٌ من تلك الأبواب كلِّها، فقال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**».

وأبواب الجنة عظيمة، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، إنَّ ما بين المصراعين من مصاريع الجنَّة لكما بين مكَّة وهجر**».

وقال الله عَزَّوَجَلَّ **في صفة أبواب الجنَّة**: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ﴾ [ص: ٥٠].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إنَّ في تفتيح الأبواب لهم إشارة إلىٰ تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوئهم من الجنَّة حيث شاءوا، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتُّحف والألطاف من ربهم، ودخول ما يَسُرُّهم عليهم كل وقت.

(١) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ١٠٦).

وأيضًا إشارة إلىٰ أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلىٰ غلق الأبواب كما كانوا يحتاجون إلىٰ ذلك في الدُّنيا».

نساء المؤمن في الجنَّة أزواجه في الدُّنيا، والحور العين، وهن في غاية الحسن والجمال، وهنَّ أتراب لأزواجهن، أعمارهنَّ كأعمارهم، قال تعالىٰ: ﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾ [ص: ٥٢].

ونساء الجنَّة غاية في الكمال، مطهَّرات من كل نقص، قال تعالىٰ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٥].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «المطهرة التي طُهِّرت من الحيض والبول والنفاس، والغائط والمخاط والبُصاق، وكلِّ قَذَر، وكلِّ أذًىٰ يكون من نساء الدُّنيا، وطُهِّرَ مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطُهِّر لسانها من الفحش والبذاء، وطُهِّرَ طرفها من أن تطمح به إلىٰ غير زوجها، وطُهِّرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ».

وقال تعالىٰ في وصف نساء الجنَّة: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: ٢٢]، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «الحُورُ: جمع حَوْراء، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين».

ومن شدَّة جمال الحور العين، فلا يدع حسنهنَّ وجمالهنَّ أزواجهم ينظرون إلىٰ غَيْرِهِنَّ.

وزوجات المؤمن في الدُّنيا ينشئهنَّ الله خلقًا آخر في الجنَّة أبكارًا، والحور يخلقهن الله في الجنَّة، قال تعالىٰ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢].

---

(١) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ٤٧١).

(٢) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ٤٧٣).

وقال تعالىٰ في وصف نساء الجنَّة: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قال الحسن وعامَّة المفسرين: أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان، شبَّههن في صفاء اللَّون وبياضه بالياقوت والمرجان.

يدلُّ عليه ما قاله عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إنَّ المرأة من نساء أهل الجنَّة لتلبس عليها سبعين حُلَّة من حرير، فيُرىٰ بياض ساقيها من ورائهنَّ، ذلك بأنَّه تعالىٰ يقول: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾، ألا وإنَّ الياقوت حجر، لو جعلت فيه سِلْكًا ثمَّ استصفيته؛ نظرت إلىٰ السِّلْك من وراء الحجر»».

نساء الجنَّة غاية في الحسن والجمال، فقد روىٰ مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أوَّل زمرة تدخل الجنَّة علىٰ صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها علىٰ أضوأ كوكب دُرِّيٍّ في السماء، لكلِّ امرئ منهم زوجتان اثنتان، يُرىٰ مُخُّ سُوقِهِمَا من وراء اللَّحْم، وما في الجنَّة أعْزَبُ**».

ومع كمال جمال نساء الجنَّة، وسلامتهنَّ مِنْ كلِّ آفةٍ ونقْصٍ وعيبٍ؛ فإنَّهنَّ غاية في كمال الأخلاق والتودد للزوج والملاطفة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٨].

قال العلَّامة المجدِّد عبد الرَّحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً﴾ [الواقعة: ٣٥] أي: إنا أنشأنا نساء أهل الجنَّة نشأة غير النشأة التي كانت في الدُّنيا، نشأة كاملة لا تقبل الفناء.

﴿فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا﴾ صغارهنَّ وكبارهنَّ.

وعموم ذلك يشمل الحور العين ونساء أهل الدُّنيا، وأن هذا الوصف - وهو

---

(١) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ٤٨٥، ٤٨٦).

(٢) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان (ص٩٩٢).

البكارة - ملازم لهنَّ في جميع الأحوال، كما أن كونهن ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ ملازم لهنَّ في كل حالٍّ، والعَروب: هي المرأة المتحبِّبة إلىٰ بعلها بحسن لفظها، وحسن هيئتها ودلالها وجمالها ومحبَّتها؛ فهي التي إن تكلمت سبت العقول، وودَّ السامع أن كلامها لا ينقضي، خصوصًا عند غنائهن بتلك الأصوات الرخيمة والنَّغمات المطربة، وإن نظر إلىٰ أدبها وسمتها ودَلِّها ملأت قلب بعلها فرحًا وسرورًا، وإن انتقلت من محلٍّ إلىٰ آخر؛ امتلأ ذلك الموضع منها ريحًا طيبًا ونورًا، ويدخل في ذلك الغنجة عند الجماع.

والأتراب: اللاتي علىٰ سن واحدة، ثلاث وثلاثين سنة، التي هي غاية ما يتمنَّىٰ ونهاية سن الشباب؛ فنساؤهم عرب أتراب، متفقات مؤتلفات، راضيات مرضيات، لا يَحْزَنَّ ولا يُحْزِنَّ، بل هن أفراح النفوس، وقرة العيون، وجلاء الأبصار».

شراب المؤمنين في الجنَّة الخمر، والعسل المصفَّىٰ، والماء واللبن، قال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾ [محمد: ١٥].

وأيُّ شراب أحلىٰ وألذُّ وأهنأ من الماء واللبن والعسل المُصَفَّىٰ؛ فذلك أطيب الشراب، وطعمه لا يضاهيه شراب غيره، وريحه أزكىٰ من أيِّ شراب.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفىٰ عن كلِّ واحد منها الآفة التي تعرض له في الدُّنيا؛ فآفة الماء أن يَأْسَنَ ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلىٰ الحموضة وأن يصير قارصًا، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي لذة شربها، وآفة العسل عدم تصفيته».

فأشربة المؤمنين في الجنَّة ألذ ما خلق الله، وجعل الله أنهارها تجري

(١) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ٣٧٦).

وتُصرف حيث شاء المؤمنون، زيادة في نعيمهم، وسعادتهم، وإتيانهم ما يتمنَّون.

قال تعالىٰ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان: ٦].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وصف الله سبحانه عيون الجنَّة بكثرة الجريان، وأن أهل الجنَّة حيث شاءوا فجَّروها، أي: استنبطوها، وفي أَيِّ المَحَالِّ أَحَبُّوا نَبَعَتْ لهم العيون بفنون المشارب والمياه».

وقال العلَّامة عبد الرَّحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «هي عين دائمة الفيضان والجريان، يفجِّرها عباد الله تفجيرًا، أَنَّىٰ شاءوا وكيف أرادوا؛ فإن شاءوا صرفوها إلىٰ البساتين الزاهرات، أو إلىٰ الرياض الناضرات، أو بين جوانب القصور والمساكن المزخرفات، أو إلىٰ أيِّ جهة يَرَوْنَها من الجهات المونِّقات».

شراب الأبرار في الجنَّة الزنجبيل، قال تعالىٰ: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٧].

قال الحافظ عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «قال مجاهد: الزنجبيل: اسم للعين التي منها مزاج شراب الأبرار.

قال غيره: سُمِّيت بذلك لطعم الزنجبيل فيها، والعرب تستلذُّه وتستطيبه».

شراب الجنَّة حلو المذاق، سلس الهضم، قال تعالىٰ: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ [الإنسان: ١٨].

والسلسبيل في اللغة اسم لما كان في غاية السلاسة[٤].

---

(١) البداية والنهاية (٢٠/ ٣٠٣).

(٢) تيسير الكريم الرَّحمن في تفسير كلام المنَّان (ص١٠٦٦).

(٣) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٨/ ٤١٧).

(٤) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٨/ ٤١٨).

ويشرب المؤمنون من أشربة الجنَّة بقدر ريِّهم، لا ينقص ولا يزيد، قال تعالىٰ: ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٦].

قال العلَّامة عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «علىٰ معنىٰ: قدروها علىٰ مقدار ريِّهم، لا يزيد عن ريِّهم ولا ينقص منه، فتطلب الزيادة، وهذا ألذُّ الشراب، وهو معنىٰ قول مجاهد وغيره.

قال مجاهد: لا تفيض ولا تغيض».

وأمَّا ثمار الجنَّة فهي كثيرة في أنواعها، قال تعالىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۝٣٢ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ۝٣٣﴾ [الواقعة: ٣٢، ٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [محمد: ١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن: ٥٢]، وتخصيص بعض أنواعها بالذكر كقوله تعالىٰ: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨] لا يُراد به الحصر، وإنَّما تنصيص علىٰ بعض أنواعه لفضله.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «خَصَّ النَّخل والرُّمَّان بالذِّكْرِ لفضلهما وشرفهما، كما نصَّ علىٰ حدائق النخل والأعناب في سورة النبأ؛ إذ هما من أفضل أنواع الفواكه وأطيبها وأحلاها».

وأمَّا طعم ثمار الجنَّة فهو أحلىٰ من العسل، وألين من الزُّبْدِ، وكل ثمار الجنَّة حسنة المنظر طيبة الرائحة.

وما يطعمه المؤمنون من ثمار الجنَّة وأكلها يهنئون به غاية الهناء، ولا يحتاجون معه إلىٰ إخراج فضلاته بالبول والغائط.

عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**يأكل أهل الجنَّة ويشربون، ولا**

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٨/ ٤١٦، ٤١٧).

(٢) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ٣٦٧).

يتمخطون ولا يتغوَّطون ولا يبولون، طعامهم ذلك جُشاءٌ كريح المسكِ، يُلْهَمُون التسبيح والتكبير كما تُلهمون النَّفَسَ»، رواه مسلم.

وعن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحدهم ليعطىٰ قوة مئة رجلٍ في الأكل والشُّرب والجماع والشَّهوة، تكون حاجة أحدهم رشحًا يفيض من جلودهم كرشح المسك فَيَضْمُر بطنه**»، رواه أحمد والنسائي[1].

وبعد دخول المؤمنين الجنَّة، يُنْحَرُ لهم ثَوْرُ الجنَّة، الذي يأكل من أطرافها، رواه مسلم من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المؤمنون في الجنَّة يأكلون ممَّا يشتهون من أنواع اللحوم، وممَّا يتخيَّرون من الفواكه، وأطايب الطعام.

قال تعالىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة: ٢٠-٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ [الطور: ٢٢].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال النَّبيُّ ﷺ: «**تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفَّؤها الجبَّار بيده نُزُلًا لأهل الجنَّة**».

والعسل هو من حلواء الجنَّة التي يطعمها المؤمنون، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ[2]: «تضمنت هذه النصوص أنَّ لهم فيها الخبز واللحم والفاكهة والحلوىٰ، وأنواع الأشربة: من الماء، واللبن، والخمر، وليس في الدُّنيا ممَّا في الآخرة إلَّا الأسماء، وأمَّا المسمَّيات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر».

وأمَّا آنية الجنَّة فقوارير الذهب والفضة، قال تعالىٰ: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦].

---

(١) قال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «بإسناد صحيح»، حادي الأرواح (ص٣٩٦).

(٢) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ٤٠٧).

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «القوارير: هي الزجاج، فأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة، وأنها بصفاء الزجاج وشفافيته، وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها، وقطع سبحانه توهُّم كون تلك القوارير من زجاج فقال: ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٦]، قال مجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي والشعبي: «قوارير الجنَّة من الفضة» فاجتمع لها بياض الفضَّة وصفاء القوارير».

ودلَّ علىٰ أنَّ آنية الجنَّة من الذهب أيضًا؛ نهيُ النَّبي ﷺ عن الأكل والشرب فيها؛ لأنها لنا في الجنَّة، وقوله تعالىٰ: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١].

وفي الصحيحين من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما**».

وآنية الجنَّة وقواريرها وأكوابها خلقها الله بقدر ما يبلغه شرب وأكل المؤمن في الجنَّة، لذلك قال تعالىٰ: ﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٦]، والتقدير: جعل الشيء بقدر مخصوص؛ فالآنية والصحاف بقدر ما يأكلون ويشربون، فيكون أبلغ في التذاذهم، فلو نقص الإناء والإبريق عن الشبع والرِّيِّ لنقص الالتذاذ، ولو زاد حصلت السآمة[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [النبأ: ٣٤].

قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «هي الممتلئة المتتابعة»[٣].

وفي الجنَّة سوق، يأتيه المؤمنون كل جمعة، يربحون فيه أنواعًا جميلة

---

(١) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ٤١٣).

(٢) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ٤١٤).

(٣) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ٤٠٤، ٤٠٥).

ولطيفة من المكاسب.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ في الجنَّة لسوقًا، يأتونها كل جمعة، فتهبُّ ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسنًا وجمالًا، فيرجعون إلىٰ أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالًا، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا**»، رواه مسلم.

قال العلَّامة ابن هُبيرة الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: «في هذا الحديث ما يدل علىٰ أن نعيم الجنَّة لا يزال أبدًا في الزيادة، وهذه السوق التي ذُكرت فيها فهي من ذلك؛ لأنها زيادة علىٰ نعيمهم.

وليست بسوق بيع ولا شراء، وإنما جُعلت سوقًا من حيث إن السوق موضوع للمرابحة؛ فهؤلاء يربحون فيها، ويعودون وقد ربحوا من بيوتهم أيضًا ذلك الحسن في الزوجات، وهذا يدل علىٰ أن أهل الجنَّة يزدادون في كل لحظة حسنًا إلىٰ حسنهم وجمالًا إلىٰ جمالهم، زيادة لا تزال تنمي بنفس خروجهم إلىٰ تلك السوق، ومقامهم فيها يزيد نساؤهم وأهلوهم حسنًا في تلك الساعة.

وفيه دليل علىٰ أن ريح الشمال مباركة في الدُّنيا والآخرة».

المؤمنون في الجنَّة ملوك، لا يتكلفون شيئًا يريدونه، وكل شيء يتمنَّونه يكون في متناولهم، قال تعالىٰ: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤]، فشجر الجنَّة قريب من المؤمنين، تدنو ظلالها عليهم، وتتدلىٰ ثمارها لمن أراد أن يتناول منها من المؤمنين.

ملك المؤمن في الجنَّة عظيم، فإذا كان ملك أدناهم عشرة أمثال الدُّنيا، فما

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ٣٨٨، ٣٨٩).

ظنُّك بملك السابقين والصديقين والشهداء والصالحين.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان: ٢٠-٢٢].

والمؤمنون في الجنَّة يخدمهم الولدان.

وهذا معنىٰ أنَّ المؤمنين في الجنَّة كالملوك، وفي الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يركب ناس من أمتي ثبج البحر في سبيل الله، كالملوك علىٰ الأسرَّة**».

قال العلَّامة ابن هبيرة الحنبليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «فيه ما يدلُّ علىٰ فضيلة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّة إمارته، وأنَّه من الغزاة في سبيل الله، وأنَّ الغزاة الذين كانوا تحت يده كانوا كالملوك علىٰ الأسرَّة».

يكون المؤمن في الجنَّة علىٰ أكمل خلق، فيذهب عنه الأذىٰ والقذر الذي كتبه الله علىٰ بني آدم في الدُّنيا، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ في صفة المؤمنين في الجنَّة: «**لا يتغوَّطُون، ولا يَبُولُون، ولا يَمْتَخِطُون، ولا يَبْزُقُون، رَشْحُهُمُ الْمِسْكُ**».

لباس المؤمنين في الجنَّة الحرير، قال تعالىٰ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ١٢٣).

ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ [الكهف: ٣٠، ٣١].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «أحسن الألوان الأخضر، وألين الملابس الحرير؛ فجمع لهم بين حسن منظر اللباس، والتذاذ العين به، وبين نعومته والتذاذ الجسم به».

وحلية المؤمنين في الجنَّة الذهب والفضة، قال تعالىٰ: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١].

قال العلَّامة عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «يُحَلَّون بالجميع؛ لأنَّ في اجتماع الحِلْيتين معنًىٰ ليس في الانفراد؛ لأنَّ كلَّ واحد من النوعين يُظهر حُسْن الآخر».

فيتنعَّم المؤمنون بلبس الحرير من الثياب وبلبس أجمل الحلي، قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «جمع لهم بين نوعي الزينة الظاهرة من اللباس والحلي، كما جمع لهم بين الظاهرة والباطنة؛ فجمَّل البواطن بالشراب الطَّهور، والسَّواعد بالأساور، والأبدان بثياب الحرير».

أفخر ثياب الدنيا ولباسها لا شيء بالنسبة لثياب الجنَّة، ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أهدَىٰ أُكَيْدَرُ دومَة إلىٰ النَّبي ﷺ جُبَّةً من سُندس، فتعجَّب النَّاس من حُسْنِها، فقال: «**لمناديل سعدٍ في الجنَّة أحسن من هذا**».

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «لا يخفىٰ ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه

---

(١) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ٤١٩، ٤٢٠).

(٢) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٨/ ٤٢٢).

(٣) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ٤٢٣) باختصار.

(٤) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ٤٣٦، ٤٣٧).

هاهنا؛ فإنَّه كان في الأنصار بمنزلة الصِّدِّيق في المهاجرين، واهتزَّ لموته العرش، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم، وختم الله له بالشهادة، وآثر رضا الله عَزَّوَجَلَّ ورسوله ﷺ علىٰ رضا قومه وعشيرته وحلفائه، ووافق حُكمه الذي حكم به حُكم الله فوق سبع سمواته، ونعاه جبريل إلىٰ النَّبي ﷺ يوم موته؛ فحُقَّ له أن تكون مناديله التي يمسح بها يديه في الجنَّة أحسن من حُلَل الملوك».

لباس المؤمن في الجنَّة الحرير، وكذلك فراشه ووسادته من حرير، لا يقال: غليظ الحرير ورقيقه كما في حرير الدُّنيا، بل حرير أنعم من حرير، فظاهر فرش المؤمنين في الجنَّة أنعم من باطنها الناعم.

قال تعالىٰ في فرش المؤمنين في الجنَّة: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشِۭ بَطَآئِنُهَا مِنۡ إِسۡتَبۡرَقٖۚ﴾ [الرحمن: ٥٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «خوطب العرب بما هو معروف عندهم، وفي الجنَّة ما هو أحسن وأجمل وأبهىٰ وأسنىٰ وأعظم ممَّا في النفوس، وأجلُّ من كل صنف ونوع من أصناف الملاذِّ، وأجناس الأشياء كلها، وألذ في المناظر والنفوس».

ولباس الحرير حرَّمه الله عَزَّوَجَلَّ في الجنَّة علىٰ من لبسه من الذكور في الدُّنيا، قال النَّبيُّ ﷺ: «**من لبسه في الدُّنيا لم يلبسه في الآخرة**»، متفق عليه من حديث الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولباس الحرير حرَّمَه الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ الرجال في الدُّنيا لأجل الخيلاء والزينة، ولأنَّه لباس النساء، فإذا كان يوم القيامة ذهب المعنىٰ الذي حُرِّم لأجله[2].

---

(١) البداية والنهاية (٢٠/ ٣٣٤، ٣٣٥).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ١٧٠).

وحرَّم الله الخمر علىٰ المؤمنين في الدُّنيا؛ لأنها تصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وتُفسد العقل، وتُوقع في أنواع الفواحش. وخمر الجنَّة ليس فيه شيء من مضارِّ خمر الدُّنيا.

والوعيد بحرمان من شرب الخمر ولبس الحرير من التنعم بها في الآخرة؛ إنَّما هو في حق من لم يتب من ذلك، دلَّ علىٰ ذلك حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبي ﷺ: «**كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدُّنيا، ومات وهو يدمنها لم يتب منها؛ لم يشربها في الآخرة**»، رواه مسلم.

قال شيخنا العلَّامة محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إما أنَّه يُحرم من لباس الحرير إلىٰ مُدَّة الله أعلم بها، وإما ألَّا تشتهي نفسه هذا الحرير، ويكون هذا نقصًا في نعيمه؛ فلا يتنعم كمال التنعُّم».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «قالت طائفة من السلف والخلف: إنَّه لا يلبس الحرير في الجنَّة، ويلبس غيره من الملابس، قالوا: وأما قوله تعالىٰ: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣] فمن العام المخصص.

وقال الجمهور: هذا من الوعيد الذي له حكم أمثاله من نصوص الوعيد، التي تدلُّ علىٰ أنَّ هذا الفعل مقتضٍ لهذا الحكم، وقد يتخلَّف عنه لمانع.

وقد دلَّ النَّصُّ والإجماع علىٰ أن التَّوبة مانعة من لحوق الوعيد، ويمنع من لحوقه أيضًا: الحسنات الماحية، والمصائب المكفرة، ودعاء المسلمين، وشفاعة من أذن الله له في الشفاعة فيه».

---

(١) الشرح الممتع (٢/ ٢٠٩).

(٢) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ٤٢٠، ٤٢١).

المؤمنون في الجنَّة يتنعمون في حدائقهم وبساتينهم، قال تعالىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴾ [الروم: ١٥].

قال الحافظ عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٦٦١ هـ)[1]: «الرَّوضة عند العرب: كل أرض ذات نبات وماء، وفي أمثالهم: أحسن من بيضة في روضة، يريدون: بيضة النعامة.

والمراد بالرَّوضة: الجنَّة، والحَبْرَة: السرور، يقال: حَبَرَهُ، إذا سرَّه سُرُورًا يتهلل له وجهه، ويظهر فيه أثره.

ثم اختلفت عباراتهم في تأويل ﴿يُحۡبَرُونَ ﴾ [الروم: ١٥]، فقال ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: يُكرمون، وقال مجاهد: يُنَعَّمُون».

المؤمنون في حدائقهم وبساتينهم في ظلال علىٰ الأرائك ينظرون إلىٰ حسن منظر زروعهم، وزكاء ريحه، ويتمتَّعون بطيب طعم ثماره، والأنهار والمياه تجري في نواحي بساتينهم في نعيم لا يضاهيه غيره، ولا يشبهه منظر ولا مخبر، فليس شيء في الدُّنيا كما في الجنَّة.

حدائق الجنَّة وبساتينها وأشجارها، سعتها وجمالها ونضارتها، وكثرة ثمارها، عظيمة الخلق، ليست كأشجار وثمار الدُّنيا.

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: عن النَّبي ﷺ قال: «**إن في الجنَّة شجرة، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها**»، رواه البخاري.

سير الراكب لا يقطع شجر الجنَّة مسيرة مائة عام، فأشجار الجنَّة وحدائقها وبساتينها عظيمة.

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٦/ ١٣).

قال العلَّامة يحيىٰ بن محمد بن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «إنَّ الراكب يسير في ظلها مائة عام، قال بعد ذلك: «**لا يقطعها**»؛ فدل علىٰ أن سير مائة سنة في ظل شجرة واحدة من أشجار الجنَّة لا يقطعها ولا ينفذها، فإنما ذكر رسول الله - ﷺ - لما ذكر في هذه الشجرة؛ ليستدل بذكرها علىٰ سعة الحدائق التي فيها النخل والأشجار التي هذه الشجرة واحدة منها، وعلىٰ سعة الأماكن التي فيها تلك الحدائق؛ فهو ممَّا لا يمكن أن يعبر عنه إلا بما قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠]».

بناء الجنَّة لبنة من فضة، ولبنة من ذهب، ملاطها - الطين بين الحجرين[٢] - المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزَّعفران. رواه أحمد من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه ابن حبان.

وفي الصحيحين من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**جنَّتان من ذهب، وجنَّتان من فضَّة**».

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن أبي ذرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - في حديث المعراج - قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُدْخِلْتُ الجنَّة، فإذا فيها جنابذُ - قبب - اللؤلؤ، وإذا تُرَابها المِسْكُ**».

وفي الصحيحين من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ للمؤمن في الجنَّة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوَّفَة، طولها ستون ميلًا، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن، فلا يرىٰ بعضهم بعضًا**».

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ٢٩٥).

(٢) البداية والنهاية (٢٠/ ٢٩٠).

منازل المؤمنين في الجنَّة بحسب أعمالهم، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۚ﴾ [الأنعام: ١٣٢].

أفضل الخلق منزلة ومنزلًا في الجنَّة أقربهم إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، قال تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «لمَّا كان رسول الله ﷺ أعظم الخلق عبودية لربِّه، وأعلمهم به، وأشدَّهم له خشية، وأعظمهم له محبَّة؛ كانت منزلته أقرب المنازل إلىٰ الله، وهي أعلىٰ درجة في الجنَّة».

فأعلىٰ الخلق منزلة ونزلًا في الجنَّة رسول الله ﷺ، وأدنىٰ الخلق منزلة ونزلًا في الجنَّة من له الدُّنيا وعشر أمثالها.

فالمنزل في الجنَّة اسم لكل ما يتبوَّؤه المؤمن فيها، فقد روىٰ مسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبي ﷺ قال: «**أدنىٰ أهل الجنَّة منزلًا؛ من له الدُّنيا وعشر أمثالها**».

ومع ما ذكرته من بعض التفصيل في صفة الجنَّة ونعيمها، ومن بعض تفصيل ما يكون في اليوم الآخر؛ فإنَّ تفصيل كل شيء من ذلك لا يعلمه إلَّا الله، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، وقال النَّبي ﷺ في صفة الجنَّة: «**يقول الله تعالىٰ: أعددْت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر**»، متفق عليه من حديث

(١) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ١٦٦).

أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومن أجل هذا حثنا الله عَزَّوَجَلَّ أن ندعو بالأدعية الجامعة التي تحيط بكل نعيم الجنَّة، وهذا الذي كان يدعو به النَّبي ﷺ، ففي الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النَّبي ﷺ يقول: «**اللهم آتنا في الدُّنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النَّار**».

قال العلَّامة ابن هُبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن هذه الكلمات جامعة لخير الدُّنيا والآخرة؛ لأنه إذا طلب في الدُّنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة؛ فقد طلب الحُسْنَيْن في الدُّنيا والآخرة. وحسنة صفة لموصوف محذوف، وفي حذفه فوائد: وهي أن كل مطلوب من النعمة والقربة والحياة والعافية والنصرة والبركة والكفاية والإصابة وغير ذلك؛ يجوز أن يكون في الموصوف، فلما حذف الموصوف وذكر الصفة؛ جاز أن ينصرف ذلك إلىٰ ذلك كله».

ما يدركه المُنعَّمون في حياتهم البرزخية من نعيم الجنَّة يجعلهم يتمنَّوْنَ الرجوع إلىٰ الدُّنيا كي يزدادوا عملًا صالحًا يكون سببًا في رفعة درجاتهم فيها.

ففي الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**ما أحد يدخل الجنَّة يحب أن يرجع إلىٰ الدُّنيا، وله ما علىٰ الأرض من شيء، إلا الشهيد، يتمنَّىٰ أن يرجع إلىٰ الدُّنيا، فيُقتل عشر مرات؛ لما يرىٰ من الكرامة**».

قال العلَّامة ابن هبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «إنَّ الشَّهيد رأىٰ من كرامة الله تعالىٰ ما لا قبل له بشكره، ثم ذكر حينئذ قتله في سبيل الله، فوجد لذة وروحًا؛

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ٢٤٩).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (٥/ ١٧٥).

لأنه اتخذ تسليم نفسه للقتل في سبيل الله عند الله تعالىٰ يدًا، فرفعت هذه الحالة رأسه خجلة من قلة الشكر، فلم يجد غير طلب الإعادة».

ونعيم الجنَّة وصفه لا تحيط به عبارة، فإذا كان أدنىٰ أهل الجنَّة منزلة من له الدُّنيا وعشر أمثالها، فكيف بأعلىٰ أهل الجنَّة منزلة.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر، اقرءوا إن شئتم:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]،

وفي الجنَّة شجرة يسير الرَّاكبُ في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرءوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة: ٣٠]، **وموضع سوط من الجنَّة خير من الدُّنيا وما فيها، واقرءوا إن شئتم:** ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]»، رواه البخاري ومسلم، واللفظ للترمذي.

فهنا ذكرت بعض صفات الجنَّة ونعيمها، كما عرَّفها الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن، وكما ذكر النبي ﷺ كثيرًا من صفاتها.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [محمد: ٤-٦].

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وصف الله الجنَّة في الدُّنيا لهم، فإذا دخلوها عرفوها بصفتها».

ما في الجنَّة للمؤمنين من الخير العظيم الذي يؤتيهم الله عَزَّوَجَلَّ إياه إكرامًا وإحسانًا لعبوديتهم له وحده في الدُّنيا، يؤتيهم الله عَزَّوَجَلَّ خيرًا منه وأحسن وأفضل منه، وهو رؤيته سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

(١) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (١/ ٣٠٤).

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «الحسنىٰ: الجنَّة، والزيادة: النظر إلىٰ وجهه الكريم، كذلك فسَّرها رسول الله ﷺ الذي أُنزل عليه القرآن، فالصَّحابة من بعده، كما روىٰ مسلم في صحيحه عن صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: تلا رسول الله ﷺ: «﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] قال: **إذا دخل أهل الجنَّة الجنَّة، وأهل النَّار النَّار؛ نادىٰ مناد: يا أهل الجنَّة، إن لكم عند الله موعدًا ويريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيّض وجوهنا، ويدخلنا الجنَّة، ويزحزحنا عن النَّار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إلىٰ الله، فما أعطاهم شيئًا أحب إليهم من النظر إليه، وهي الزيادة**»».

وفوق هذا النعيم هو أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يحلُّ علىٰ أهل الجنَّة رضوانه فلا يسخط عليهم أبدًا.

قال البخاريُّ: حدَّثنا معاذ بن أسد، أخبرنا عبد الله، أخبرنا مالك بن أنس، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول لأهل الجنَّة: يا أهل الجنَّة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضىٰ وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدًا من خلقك، فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا**».

ورواه مسلم: حدَّثنا محمد بن عبد الرَّحمن بن سهم، أخبرنا عبد الله بن المبارك؛ به.

❁ ❁ ❁

(١) بدائع التفسير (٢/ ٣٥).

النار

ومن الإيمان بالغيب: الإيمان بالنَّار:

والإيمان بنار الآخرة هو من الإيمان بالغيب، الذي جاء به الخبر الصَّادق في الوحي من القرآن والسُّنَّة، وقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ نار الدُّنيا تذكرة بنار الآخرة، فقال سبحانه: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ [الواقعة: ٧٣].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قال مجاهد وغيره: يعني: أنَّ نار الدُّنيا تُذكر بنار الآخرة».

والنَّار جعلها الله عَزَّوَجَلَّ عقابًا للكافرين، قال سبحانه: ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٧٢]، وقال تعالىٰ: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [يس: ٦٣، ٦٤]، وتوعد الله المشركين بالنَّار إذا أشركوا به سبحانه، فقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠].

والنَّار مخلوقة موجودة الآن، قال تعالىٰ عن النَّار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، فالنَّار مخلوقة موجودة الآن، يدلُّ لذلك حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اشتكت النَّار إلىٰ ربها، فقالت: ربِّ، أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف؛ فهو أشد ما تجدون من الحرِّ،**

(١) التخويف من النَّار (ص٤٨).

وأشد ما تجدون من الزمهرير»، رواه البخاري ومسلم.

قال العلَّامة يحيىٰ بن محمد بن هُبيرة الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هذا النَّفَس في الصيف، وهذا النَّفَس في الشتاء؛ دليل صريح علىٰ أنَّها مخلوقة موجودة».

النَّار مخلوقة موجودة الآن، وهي في الأرض السفلىٰ، وهذا اعتقاد السابقين الأولين، قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كانوا يقولون: إنَّ جهنَّم لفي الأرضين السبع»[٢].

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «الجنَّة والنَّار مخلوقتان، قد خُلقتا كما جاء عن رسول الله ﷺ: «**دخلت الجنَّة فرأيت قصرًا**»، و«**رأيت الكوثر**»، و«**اطلعت في الجنَّة فرأيت لأهلها كذا، واطلعت في النَّار فرأيت كذا وكذا**»، فمن زعم أنَّهما لم تُخلقا؛ فهو مُكذِّب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ، ولا أحسبه يؤمن بالجنَّة والنَّار».

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «استدلَّ بعضهم لهذا بأن الله تعالىٰ أخبر أن أهل النار يُعرضون علىٰ النَّار غدوًّا وعشيًّا - يعني في مدة البرزخ -، وأخبر أنه لا تُفتح لهم أبواب السماء؛ فدل علىٰ أن النَّار في الأرض.

وقال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧].

وفي حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبي ﷺ، في صفة قبض الأرواح، قال في أرواح الكفار: «**حتىٰ ينتهوا بها إلىٰ السماء الدنيا، فيستفتحون فلا يفتح له**، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]».

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح (٦/ ١٦٨).

(٢) خرجه ابن أبي الدُّنيا في صفة جهنَّم، التخويف من النَّار (ص٨٢).

(٣) أصول السُّنَّة (ص٦٠).

(٤) التخويف من النَّار (ص٨٢).

قال: «ثم يقول الله تعالىٰ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلىٰ» قال: «**فتطرح روحه طرحًا**» خرَّجه الإمام أحمد وغيره».

والأمَّة مجمعة علىٰ أن النَّار مخلوقة موجودة الآن، وهذا إجماع متوارث عن الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قال الفقيه الحافظ أبو محمد حرب بن إسماعيل الكِرمَانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٢٨٠ هـ) فيما أجمع عليه الصَّحابة إلىٰ وقته[١]: «قد خُلقت الجنَّة وما فيها، وخُلقت النَّار وما فيها، خلقهما الله عَزَّوَجَلَّ، ثم خلق الخلق لهما، لا يفنيان، ولا يفنىٰ ما فيهما أبدًا».

وقال أبو زرعة وأبو حاتم الرَّازيَّان رحمهما الله[٢]: «أدركنا العلماء في جميع الأمصار - حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا - فكان من مذهبهم:

الجنَّة حقٌّ، والنَّار حقٌّ، وهما مخلوقان، لا يفنيان أبدًا».

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٦٠٠ هـ) فيما اتفق عليه اعتقاد سلف الأمَّة**[٣]: «الإيمان بأنَّ الجنَّة والنَّار مخلوقتان، لا تفنيان أبدًا، خُلقتا للبقاء لا للفناء، وقد صحَّ في ذلك أحاديث عدة».

هذا اعتقاد السابقين الأوَّلين، ومن اتبعهم بإحسان، وخالف إجماعهم الجهم بن صفوان فزعم أن الجنَّة والنَّار يفنيان، وخالفهم أيضًا أبو الهذيل العلَّاف، وزعم أنَّ حركات أهل الجنَّة والنَّار تنقطع، ويبقىٰ من فيهما في سكون دائم[٤].

---

(١) إجماع السلف في الاعتقاد (ص٥٣).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة (١/ ١٩٨، ١٩٩).

(٣) الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٧٦).

(٤) منهاج السُّنَّة (١/ ٩١)، ط: دار الفضيلة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «وكان هذا ممَّا أنكره السَّلف والأئمَّة علىٰ الجهميَّة، وعدُّوه من كفرهم، وقالوا: إن الله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، إلىٰ غير ذلك من النصوص الدالَّة علىٰ بقاء نعيم الجنَّة».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «بل هي باقية دائمة في المستقبل في الكتاب والسُّنَّة وإجماع سلف الأمَّة وجمهورها، كما قال تعالىٰ: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، والمراد دوام نوعه، لا دوام كل فرد فرد.

قال تعالىٰ: ﴿لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١]، والمقيم هو: نوعه. وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، والمراد: أن نوعه لا ينفد، وإن كان كل جزء منه ينفد، أي: ينقضي وينصرم».

وسئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**سبعة لا تموت ولا تفنىٰ ولا تذوق الفناء: النَّار وسكانها، واللوح، والقلم والكرسي، والعرش**»، هل هذا الحديث صحيح أم لا؟

فأجاب[٣]: «هذا الخبر بهذا اللفظ ليس من كلام النَّبي ﷺ، وإنما هو من كلام بعض العلماء.

وقد اتَّفق سلف الأمَّة وأئمَّتها، وسائر أهل السُّنَّة والجماعة، علىٰ أن من المخلوقات ما لا يُعدم ولا يفنىٰ بالكلية؛ كالجنَّة والنَّار، والعرش، وغير ذلك.

---

(١) منهاج السُّنَّة (١/ ١٩٤).

(٢) منهاج السُّنَّة (١/ ٤٤١).

(٣) مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ٣٠٧).

ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين؛ كالجهم بن صفوان، ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ، وإجماع سلف الأمَّة وأئمَّتها».

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجنَّة والنَّار(١): «هاتان الداران لا تفنيان».

الكفار استوجبوا الخلود في النَّار بكفرهم بالله وشركهم به، وهذا الذنب الذي لا يغفره الله، ولا ينقطع عذابه، ولا يُخفف عمَّن استوجبه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وإذا دخل الكافرون والمشركون النار، ورأوا استمرار العذاب بهم؛ سألوا الله الموت والفناء؛ فلا يجيبهم الله إلىٰ ذلك، بل يزيدهم عذابًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان: ١٣، ١٤]، قال شيخ المفسرين أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يقول في قوله تعالىٰ: ﴿دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾، أي: هلكةً».

والمسلمون استوجبوا الخلود في الجنَّة بتوحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وتحقيقه بالعمل الصالح، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨].

---

(١) الوابل الصَّيِّب (ص٤٢).

(٢) جامع البيان (١٧/ ٤١٢).

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾﴾ [الفرقان: ١٥، ١٦].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «﴿خَٰلِدِينَ﴾ فيها، يقول: لابثين فيها ماكثين أبدًا، لا يزولون عنها، ولا يزول عنهم نعيمها».

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ [لقمان: ٨، ٩].

قال العلَّامة أبو المظفَّر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «معناه: مقيمين في الجنَّة كما وعد الله».

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦].

والقرآن مثاني، ذكر الله فيه وعيد ومأوىٰ الكافرين وهو الخلود في النَّار، وذكر فيه وعد ومأوىٰ المؤمنين وهو الخلود في الجنَّة، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة: ١٨-٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨]، هذا وعيد الكافرين ذكره الله بعد ذكر صفاتهم وأعمالهم، وذكر الله في إثر هذه الآيات صفات المؤمنين

(١) جامع البيان (١٧/ ٤١٣).

(٢) تفسير القرآن (٤/ ٢٢٧).

وأعمالهم، ثم قال الله في جزائهم ووعدهم وثوابهم: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٧٢].

المؤمنون ينعَّمون في الجنَّة، يخلدون فيها، نعيمهم مقيم، أكل الجنَّة وثوابها دائم لا ينقطع ولا ينفد، والكافرون يُعذَّبون في النَّار، خالدين فيها، لا يفتر عنهم العذاب ولا ينقطع.

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسول الله ﷺ: «**يُجاء بالموت يوم القيامة كأنَّه كبش أَمْلَح، فيُوقف بين الجنَّة والنَّار، فيقال: يا أهل الجنَّة! هل تعرفون هذا؟ فَيَشْرَئِبُّون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت.**

ثم يقال: يا أهل النَّار! هل تعرفون هذا؟ فَيَشْرَئِبُّون وينظرون ويقولون: نعم، هذا الموت. فَيُؤْمَرُ به فَيُذْبَحُ، ثم يُقال: يا أهل الجنَّة! خلود فلا موت، ويا أهل النَّار! خلود فلا موت.

ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]، وأشار بيده إلىٰ الدُّنيا». رواه البخاري ومسلم.

فهذا الحديث دالٌّ علىٰ بقاء الجنَّة والنَّار ومن فيهما، وعدم فنائهما.

والموت جعله الله عَزَّوَجَلَّ في صورة كبش حقيقة، وذبحه حقيقة.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «هذا الكبش، والإضجاع، والذبح، ومعاينة الفريقين ذلك؛ حقيقة لا خيال ولا تمثيل، كما أخطأ فيه بعض الناس خطأً قبيحًا، وقال: الموت عَرَض، والعَرَض لا يتجسَّم فَضْلًا عن أن يُذبح. وهذا لا

(١) حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح (٢/ ٨١٥).

يصحُّ؛ فإن الله سبحانه يُنشئ من الموت صورة كبش يذبح، كما يُنشئ من الأعمال صورًا مُعَاينة يُثَاب بها ويُعاقب، والله تعالىٰ ينشئ من الأعراض أجسامًا تكون الأعراض مادَّة لها، وينشئ من الأجسام أعراضًا، كما ينشئ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الأعراض أعراضًا، ومن الأجسام أجسامًا».

والنصوص الدَّالة علىٰ بقاء النَّار وعدم فنائها، واستمرار عذاب الكافرين فيها من غير انقطاع؛ كثيرة جدًّا، قال تعالىٰ: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، وقال سبحانه: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [الحج: ٢٢].

وكل هذه النصوص صريحة في بقاء النَّار وخلود الكافرين فيها.

وقد وصف الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة بيوم الخلود، فقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ﴾ [ق: ٣٤]؛ فالمؤمنون يُخلدون في الجنَّة، والكافرون يخلدون في النَّار.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

قال العلَّامة أبو المظفَّر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «**وقوله:** ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، أي: لو كانوا يعلمون أن الدُّنيا تفنىٰ، والآخرة تبقىٰ».

والكفار كلَّما لبثوا حقبًا في النَّار خلفه حقب بعده، وصارت أحقابهم متتالية لا تنتهي ولا تتوقف، ولا ينقطع عنهم عذاب النَّار، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ [النبأ: ٢١-٢٣].

---

(١) تفسير القرآن (٤/ ١٩٣).

قال العلَّامة أبو المظفَّر السمعانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قال ابن كيسان: إنَّ معناه: لابثين فيها أحقابًا إلىٰ أحقاب لا تنقطع».

وقال الحافظ عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قال ابن قتيبة: هذا لا يدل علىٰ غاية؛ لأنَّه كلَّما مضىٰ حُقْبٌ تبعه حُقْبٌ، ولو أنَّه قال: لابثين فيها عشرة أحقاب أو خمسة؛ دلَّ علىٰ غاية».

والله عَزَّوَجَلَّ بعد أن ذكر وعيد الكافرين بالعذاب في النَّار قال: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠].

وأمَّا الاستثناء في قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: ١٠٦، ١٠٧]؛ فإنَّه يعود إلىٰ مدة بقائهم في الدُّنيا.

قال العلَّامة المحقِّق المجدِّد محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «قوله تعالىٰ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧]، قيَّد تعالىٰ خلود أهل الجنَّة وأهل النَّار بالمشيئة، فقال في كلٍّ منهما: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧]، ثم بيَّن عدم الانقطاع في كل منهما، فقال في خلود أهل الجنَّة: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤].

وقال في خلود أهل النَّار: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

ومعلوم أن (كلما) تقتضي التكرار بتكرر الفعل الذي بعدها».

---

(١) تفسير القرآن (٦/ ١٣٩).

(٢) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٨/ ٤٥٠).

(٣) أضواء البيان (٢/ ٢٩، ٣٠)، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

والاستثناء في آية هود، نظيره في سورة الأنعام، قوله تعالىٰ في كفار الإنس والجن: ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

قال العلَّامة أبو المظفَّر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «فَإِنْ قَالَ قَائِل: أَلَيْسَ أَنَّ الْكَافرين خَالدُونَ فِي النَّار بأجمعهم، فَمَا هَذَا الِاسْتِثْنَاء؟

الْجَوَابُ: قَالَ الْفراء: هُوَ مثل قَوْله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧]، يَعْنِي: من الزِّيَادَة علىٰ مُدَّة دوَام السَّمَوَات وَالْأَرْض؛ فَهَذَا هُوَ المُرَاد بِهَذِهِ الْآيَة أَيْضًا، وَقِيلَ: الِاسْتِثْنَاء فِي الْعَذَاب، يَعْنِي: خَالِدين فِي نوع من الْعَذَاب إِلَّا مَا شَاءَ الله من سَائِر الْعَذَاب.

وَقِيل: هُوَ اسْتِثْنَاء مُدَّة الْبَعْث والحساب، لَا يُعَذَّبُونَ[٢] فِي وَقْت الْبَعْث والحساب».

وقال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «ذكر - الله - أهل النار فقال ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى﴾ [العنكبوت: ٢٣]، وقال: ﴿لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ [الأعراف: ٤٩]، وقال: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، وقال: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١]، وقال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]، وقال: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، وقال: ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠]، وقال: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]، ومثله في القرآن كثير».

---

(١) تفسير القرآن (٢/ ١٤٥).

(٢) في النَّار، وإلَّا فهم في البعث والمحشر في عذاب، لكنَّه دون عذاب النَّار.

(٣) الرَّدُّ علىٰ الزنادقة والجهميَّة (ص٣٢٦، ٣٢٧).

وإذا جاء الله عَزَّوَجَلَّ لفصل القضاء بين عباده جيء بجهنَّم، قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ﴾ [الفجر: ٢١-٢٣].

وجهنَّم عظيمة الخلق، يأتي بها بأمر الله سبعون ألف ملك.

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**يجاء بجهنَّم يومئذ تُقاد بسبعين ألف زِمَام، مع كلِّ زِمام سبعون ألف ملك يجرونها**»، رواه مسلم.

والملائكة الموكَّلون بجهنَّم غلاظ شداد، فهذا أليق بعذاب الكافرين، قال تعالىٰ: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ [التحريم: ٦].

ونار الآخرة سمَّاها الله عَزَّوَجَلَّ النَّار الكبرىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [الأعلىٰ: ١١، ١٢]، وذلك لبقائها وعدم فنائها، وهذا فرق ما بينها وبين نار الدُّنيا، ولأنَّها أعظم استعارًا وأشدُّ حرقًا، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ناركم هذه جزء من سبعين جزءًا من نار جهنَّم**».

قال العلَّامة عبد الرَّحمن بن محمَّد العليمي المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٢] الشديدة، وهي نار الآخرة، والصغرىٰ نار الدُّنيا».

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ [التكوير: ١٢].

قال العلَّامة أبو المظفَّر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «أي: أُوقدت، وهي توقد مرَّةً بعد مرَّةٍ»، لذلك تناهىٰ حرُّها، قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ١٠، ١١].

---

(١) فَتْحُ الرَّحمن في تفسير القرآن (٧/ ٣٤٢).

(٢) تفسير القرآن (٦/ ١٦٨).

وقال تعالىٰ: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥﴾ [الغاشية: ٤، ٥].

قال العلَّامة أبو المظفَّر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قوله: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ [الغاشية: ٥] أي: انتهت في الحرِّ.

قال الحسن البصري: أوقدت عليها جهنَّم منذ خُلقت، فدُفعوا إليها وردًا، أي: عطاشًا».

وقال تعالىٰ: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٤٣ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ۝٤٤﴾ [الرحمن: ٤٣، ٤٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «أي: حَارٌّ قد تَناهَىٰ حَرُّه، وبلغ الغاية في الحرارة».

وكما أنَّ النَّار في أصل خلقها أشدُّ من نار الدُّنيا بتسعة وستين جزءًا، ودركتها الأولىٰ إلىٰ أسفلها سبعون خريفًا، فكذلك أنواع ما فيها من شررها وسلاسلها وأغلالها؛ فهي عظيمة جدًّا، جعلها الله الغاية في العذاب لمن يستحقها.

قال تعالىٰ عن النَّار: ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «كالقصر من قصور الأعراب».

وقال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كأعناق الإبل[٤].

وقال تعالىٰ في سلسلة النَّار: ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝٣٣﴾ [الحاقة: ٣١-٣٣].

---

(١) تفسير القرآن (٦/ ٢١٢).

(٢) البداية والنهاية (٢٠/ ١٢٠).

(٣) شرح السُّنَّة (١٥/ ٢٣٥).

(٤) شرح السُّنَّة (١٥/ ٢٣٥).

سلسلة عظيمة ذرعها سبعون ذراعًا، ليست كسلاسل الدُّنيا، جعلها الله عذابًا لأصحاب الجحيم.

وقال العلَّامة عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «معنىٰ ﴿**اسلكوه**﴾: اجعلوه فيها».

وروىٰ الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «**لو أن مَقْمعًا من حديد وُضع في الأرض، فاجتمع له الثَّقَلَانِ؛ ما أقلوه من الأرض**»[٢].

وعن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿**ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٢]، قال: «**لو أنَّ قطرةً من الزَّقُّوم قُطِرَت في بحار الدُّنْيا لأفسدت عليهم معايشهم**»، رواه أبو داود الطيالسي والنسائي والترمذي، وقال: حسن صحيح[٣].

والكافر يأمر الله به إلىٰ جهنَّم، فتتبادره الملائكة، قال تعالىٰ: ﴿**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ**﴾ [الحاقة: ٣٠].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «إنَّ الرَّبَّ تعالىٰ إذا قال ذلك وأمَر به، ابتدره سبعون ألفًا من الزَّبانية».

وكما أنَّ الملائكة تبادر بأخذ الكافر إلىٰ النَّار؛ فإنَّ عذابها يصيبه بغتة، قال تعالىٰ: ﴿**لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ۝٣٩ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةً فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ**

---

(١) رموز الكنوز (٨/ ٢٦٥).

(٢) من رواية ابن لهيعة، حدَّثنا درَّاج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد مرفوعًا.

(٣) قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حديث حسن»، شرح السُّنَّة (١٥/ ٢٤٧).

(٤) البداية والنهاية (٢٠/ ١٤٩).

يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنبياء: ٣٩، ٤٠].

ويؤخذ الكافر من ناصيته وقدميه، قال تعالىٰ: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١].

قال العلَّامة عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾، وهي جمع ناصية، وهي مُقدَّم الرأس. قال الضحاك: يُجمع بين قدميه وناصيته في سلسلة من وراء ظهره. وقيل: تسحبهم الملائكة تارة بأخذ النواصي وتارة بالأقدام».

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٧، ٤٨].

والنَّار جعلها الله عَزَّوَجَلَّ عذابًا للكافرين، وعذاب جهنَّم شديد، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥]، والغرام ما كان لازمًا، وهو أشدُّ العذاب[٢].

ويحيط عذاب جهنَّم بالكافرين فيكون أشد في العذاب، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [العنكبوت: ٥٤، ٥٥].

قال العلَّامة عبد الرَّحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «ليس لهم عنه معدل ولا متصرف، قد أحاطت بهم من كل جانب، كما أحاطت بهم ذنوبهم وسيئاتهم وكفرهم، وذلك العذاب هو العذاب الشديد».

ومن إحاطة جهنَّم بالكافرين اشتعال ثيابهم بالنَّار، وانصهار بطونهم بشراب الزقوم.

قال تعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٧/ ٥٦٥).

(٢) شرح السُّنَّة (١٥/ ٢٣٨).

(٣) تيسير الكريم الرَّحمن (ص٧٤٥).

﴿ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: ١٩-٢٢].

وليس في العذاب أشد من هذا، فظاهر بدن الكافر لا يمنع عن باطنه، فينال عذاب النَّار ظاهر الكافر وباطنه غاية ما يكون في العذاب.

وقود النَّار هو الناس والحجارة، قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

قال العلَّامة أبو المظفر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «﴿ٱلنَّاسُ﴾ أهل جهنَّم، ﴿وَٱلْحِجَارَةُ﴾، قال عليٌّ وابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هي حجارة الكبريت؛ لأنها أكثر توقدًا والتهابًا، وقال الباقون: هي جميع الحجارة، وهذا دليل علىٰ عظم تلك النَّار».

فالنَّار وقودها الحجارة، وهي تغلي بالكافرين، قال تعالىٰ: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ﴾ [الملك: ٧].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾، قال الثوري: تغلي بهم كما يغلي الحَبُّ القليل في الماء الكثير».

والكافر يضيق عليه مبوأه في النَّار كما ضاق عليه قبره، زيادة في عذابه، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣].

قال العلَّامة عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾

---

(١) تفسير القرآن (١/ ٥٩).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٣٣٢).

(٣) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٣٠٤).

[الفرقان: ١٣] قال المفسرون: تضيق عليهم كما يضيق الزُّجُّ[١] على الرمح.

﴿مُقَرَّنِينَ﴾ موثقين في السلاسل والأغلال، أو مقرنين مع شياطينهم، ﴿دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]؛ الثُّبور: الهلاك، ودعواه أن يقول: واثُبوراه».

والكافر يحيط به سرادق جهنَّم، حائط من كل الجهات لا باب له، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

قال الزجاج: السرادق: الحائط المشتمل علىٰ الشيء[٢].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «إحاطة السرادق بهم موجب لكربهم، وغمِّهم، وعطشهم؛ لشدة وهج النَّار عليهم».

والكافرون في سرادقهم في جهنَّم مغلولون بالسلاسل، قال تعالىٰ: ﴿مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩]، والأصفاد القيود، وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [سبأ: ٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإنسان: ٤].

الكافر في النَّار في مكان ضيق، أحاطت به النَّار، وأُوصدت أبوابها عليه، وأحاطت به النَّار من كل الجهات.

قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨].

وعن حوشب عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه كان إذا ذكر أهل النَّار قال في وصفهم: قد حُذيت عليه لهم نعال من نار، وسرابيل من قطران، وطعامهم من نار، ولحف من نار، ومساكن من نار، في شرِّ دار، وأسوأ عذاب في الأجساد أكلًا

(١) الزُّجُّ: الحديدة التي تُرَكَّبُ في أسفل الرُّمح.

(٢) رموز الكنوز (٤/ ٢٧٩).

(٣) التخويف من النَّار (ص١١٣).

أكلًا، وصهرًا صهرًا، وحطمًا حطمًا[١].

وإذا أُلقي الكفار في النَّار أُغلقت عليهم أبوابها؛ لتكون النَّار أشدَّ اشتعالًا في عذابهم، وليصيب الكافرين العذاب المعنوي فيعلمون أنَّه لا سبيل لهم إلىٰ الخروج منها.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾ [الهمزة: ٨، ٩].

قال العلَّامة أبو المظفَّر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]، قال ابن عبَّاس وأبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مطبقة، وقيل: مغلقة، يقال: أصدت الباب، أي: أغلقته».

وأبواب النَّار سبعة، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٣ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُم جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝٤٤﴾ [الحجر: ٤٣، ٤٤].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «أخبر أنَّ لجهنَّم سبعة أبواب ﴿لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾؛ أي: قد كُتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه، لا محيد لهم عنه - أجارنا الله منها -، وكلٌّ يدخل من باب بحسب عمله، ويستقر في درك بقدر فعله».

فرش الكافرين في جهنَّم النَّار، وظلالهم لهيبها، قال تعالىٰ: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤١].

قال شيخ المفسرين أبو جعفر محمَّد الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «معنىٰ الكلام: لهم

---

(١) التخويف من النَّار (ص٢٠٦).

(٢) تفسير القرآن (٦/ ٢٨١).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٦٤٨).

(٤) جامع البيان (١٠/ ١٩٦).

من نار جهنَّم من تحتهم فُرُش، ومن فوقهم منها لُحُفٌ، وإنَّهم بين ذلك».

وقال تعالىٰ: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦].

قال العلَّامة عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قوله تعالىٰ: ﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ١٦]؛ أي: أطباق وسرادقات هي مهاد لقوم، وظُلَلٌ لآخرين».

ظلال الكافرين في النَّار دخان جهنَّم، شديد السواد، قال تعالىٰ: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الواقعة: ٤١-٤٣].

قال العلَّامة البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «اليَحْمُومُ: الشديدُ السَّوَاد، قال مجاهد: هو دخان جهنَّم».

ودخان جهنَّم أسود حالك، شديد السواد، ليس بأحمر كنار الدُّنيا.

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **موقوفًا عليه قال:** «أترونها حَمْرَاء مثل نارِكم هذه التي توقدون؛ إنَّها لَأَشَدُّ سوادًا من الْقَارِ»، رواه مالك في «الموطأ» بإسناد حسن.

والله عَزَّوَجَلَّ ذكر من أخصِّ وأسوأ عذاب الكافرين في جهنَّم مكانهم ومنزلهم، فقال سبحانه: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦]، وقال تعالىٰ في جهنَّم مأوىٰ ومنزل الكافرين: ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٦٦].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: «أهل النَّار يصيرون إلىٰ الدركات السافلات، والحسرات المتتابعات، وأنواع العذاب والعقوبات».

وقال تعالىٰ عن ثياب الكافرين في النَّار: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن

(١) رموز الكنوز (٦/ ٥٣٢).

(٢) شرح السُّنَّة (١٥/ ٢٣٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٥/ ٥٨٧).

نَّارِ﴾ [الحج: ١٩].

وكان إبراهيم التيمي إذا تلا هذه الآية قال: سبحان من خلق من النَّار ثيابًا[١].

وقال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «الكفار قُطعت لهم ثياب من نار».

وقال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «ثياب من نحاس، وليس شيء من الآنية أحمىٰ وأشدَّ حرًّا منه».

وقال أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «يُقطع له قميص من نُحاس من نار».

وقال تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٩، ٥٠].

قال الحافظ عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «﴿سَرَابِيلُهُم﴾ جمع سربال، وهو القميص، ﴿مِّن قَطِرَانٍ﴾، ويقال: «قطْران» بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء فيهما، وهو شيء يتحلب من شجر يهنأ به الإبل الجربىٰ، فيحرق الجرب بحدّته وحرّه، فجعلت قُمص أهل النار منه لنَتَنِه وسواده ولَدْغِه، وشدة اشتعال النَّار فيه.

وروي عن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ القطران النحاس المذاب.

ويؤيده: ما قرأتُ علىٰ شيخنا أبي البقاء، وشيخنا أبي عمرو الياسري ليعقوب: ﴿مِّن قِطْرٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠] بكسر القاف وسكون الطاء وكسر الراء وتنوينها، «آن»: أي: نحاس مذاب متناهي الحرارة، ومنه قوله: ﴿ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: ٩٦]».

طعام أهل النَّار الزَّقوم، وشرابهم الصديد، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾ [الدخان: ٤٣، ٤٦].

---

(١) التخويف من النَّار (ص٢٠١).

(٢، ٣، ٤) جامع البيان (١٦/ ٤٩٤).

(٥) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٧٤، ٥٧٥).

فالزقوم شرُّ الأشجار وأفظعها، خبيثة الطعم والريح، تغلي في بطن من يأكلها حميمًا[١].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قد دلَّ القرآن علىٰ أنهم - الكفار - يأكلون منها حتىٰ تمتلئ منها بطونُهم، فتغلي وهو في بطونِهم كما يغلي الحميمُ، وهو الماءُ الذي قدْ انتهىٰ حَرُّهُ، ثمَّ بعدَ أكلهم منها يشرَبُونَ عليه من الحميم شربَ الهيم».

وقال تعالىٰ في شراب الكافر في جهنَّم: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٦].

قال العلَّامة عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «قال مجاهد وعكرمة واللغويون: الصديد: القيح والدم».

وقال تعالىٰ في حال الكافر في النَّار: ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة: ٣٥، ٣٦].

قال الحافظ البغويُّ الفقيه المُفسِّر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة: ٣٦] هو صديد أهل النَّار، وما ينغسل ويسيل من أبدانهم».

الناس يرتفقون في الدُّنيا بالريح الباردة، والماء البارد، والظل الوارف، والكفار في جهنَّم يلفحهم سموم النَّار وحَرُّها، ويظلهم دخانها، ويُسقون الحميم، فليس في العذاب أشدُّ وأنكىٰ من جهنَّم.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾

---

(١) تيسير الكريم الرَّحمن (ص٩١٩).

(٢) التخويف من النَّار (ص١٨١).

(٣) رموز الكنوز (٣/ ٥٢١).

(٤) شرح السُّنَّة (١٥/ ٢٣٥).

لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: ٤١-٤٤].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «هذه الآيةُ تضمَّنتْ ذكرَ ما يُتبردُ به في الدُّنيا، من الكربِ والحرِّ، وهو ثلاثة: الماءُ والهواءُ والظلُّ؛ فهواءُ جهنَّمَ: السمومُ، وهو الريحُ الحارَّةُ الشديدةُ الحرِّ، وماؤُها: الحميمُ الذي قد اشتدَّ حرُّهُ، وظلُّها اليحمومُ وهو قطعُ دخانِها، أجارَنا اللهُ من ذلك كلِّه بكرمِه».

ليس للكافر في النَّار مستراح، ولا تخفيف عمَّا يناله من العذاب، قال تعالىٰ: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

قال العلَّامة عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «﴿وَتَغْشَىٰ﴾ أي: تعلو ﴿وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [إبراهيم: ٥٠] لا يتَّقونها بشيء؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٢٤]، وقال: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [القمر: ٤٨].

ولما كانت عادة الإنسان أن يتَّقي بيده؛ أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنَّ أهل النَّار يُصفَّدون، وتُغلُّ أيديهم؛ ليُمنعوا هذا القدر من الراحة، نعوذ بالله من سخطه وعذابه».

طعام الكافرين في النَّار غُصَّة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ [المزمل: ١٢، ١٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ [المزمل: ١٣]، قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ينشب في الحلق، فلا يدخل ولا يخرج».

وشراب النَّار جُرَع غير مستساغة، قال تعالىٰ في عذاب الكافر: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم: ١٦، ١٧].

---

(١) التخويف من النَّار (ص١٤٢).

(٢) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٧٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٤١١).

قال العلَّامة عبد الرزَّاق الرَّسعني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قوله: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ﴾ أي: يتحسَّاه بتكلف ومشقة جرعة جرعة، ﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾ [إبراهيم: ١٧] لشدة كراهيته، وفرط مرارته وحرارته إلَّا بعد عناء وإبطاء، تقول: جَرعتُ الماء أجرعه جَرْعًا، وجَرّعْته، إذا احتسيته، وتجرَّع الغُصَص.

والجَرْعَة: اسم لما يجرع مرَّةً واحدةً، وجمعه: جُرَع».

وكما أنَّ الكافرين يساقون إلىٰ النَّار ﴿وِرْدًا﴾ عطاشًا؛ فإنَّه يستمرُّ بهم العطش، فلا يفتر عنهم البؤس والعذاب والشقاء.

قال تعالىٰ: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٤].

قال العلَّامة أبو المظفَّر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «قوله: ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٤] أي: لا يسكن منهم العطش».

وقال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾ [الغاشية: ٦، ٧].

قال العلَّامة أبو المظفَّر السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «قوله: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية: ٦]؛ هو شجر يُسمَّىٰ بالحجاز: الشبرق، له شوك كثير، فإذا يبس يسمَّىٰ الضريع.

قَالَ ابْن قُتَيْبَة: الضريع: شَيْء إِذا وَقعت عَلَيْهَا الْإِبِل فأكلته هَلَكت هزلًا.

وَيُقَال: الضريع هُوَ الْحِجَارَة، وَهُوَ مَرْوِيٌّ عَن سعيد بن جُبَير وَغَيره، وَهُوَ قَول غَرِيب.

وَيُقَال: نَبْت فِيهِ سمٌّ».

فطعام الكافرين في النَّار لا يُشبع، ولا يدفع شرًّا، بل هو عذاب ونكال.

---

(١) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٢٢).

(٢) تفسير القرآن (٦/ ١٣٩).

(٣) تفسير القرآن (٦/ ٢١٣).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: «قوله تعالىٰ: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٧] يعني: لا يحصل به مقصود، ولا يندفع به محذور».

وإذا اشتد الجوع والعطش بالكافرين استغاثوا يطلبون مرتفقًا من شدَّة جوعهم وعطشهم وعذابهم؛ فيغاثون بماء اشتدَّ حرُّه يغلي في بطونهم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩].

وعن سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا جاع أهل النَّار، واستغاثوا، فأُغيثُوا بشجرةِ الزَّقومِ فأكلوا منها، فانسلختْ وجوهُهُم، فإذا أكلُوا منها أُلقي عليهم العطشُ، فاستغاثُوا من العطشِ؛ فأُغيثوا بماءٍ كالمهلِ، والمهلُ: الذي قد انتهىٰ حرُّهُ، فإذا أدنَوه من أفواهِهم أنضجَ حرُّهُ الوجوهَ، ويُصهرُ به ما في بطونِهِم»[٢].

يخلد الكافر في نار جهنَّم، فيناله العذاب كل حين ولحظة، لا ينقطع عنه، بل يُجدد له العذاب زيادة في نكاله وعقوبته، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٦، ٣٧].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: «شرع في بيان مآل الأشقياء، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ﴾ [فاطر: ٣٦]، كما قال تعالىٰ: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤]. وثبت في صحيح مسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «**أما أهل**

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٥٥٠).

(٢) التخويف من النَّار (ص١٨٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٣١٦).

النَّار الذين هم أهلها، فلا يموتون فيها ولا يحيون»، وقال تعالىٰ: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧]. فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم، ولكن لا سبيل إلىٰ ذلك، قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥]، وقال ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠].

ثم قال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦]، أي: هذا جزاء كل من كفر بربه وكذب بالحق.

وقوله جلَّت عظمته: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فاطر: ٣٧] أي: ينادون فيها، يجأرون إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ بأصواتهم: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧] أي: يسألون الرجعة إلىٰ الدُّنيا ليعملوا غير عملهم الأول، وقد علم الربُّ جل جلاله أنه لو ردَّهم إلىٰ الدار الدُّنيا؛ لعادوا لما نُهوا عنه، وإنهم لكاذبون؛ فلهذا لا يجيبهم إلىٰ سؤالهم».

فالكافر مخلد في نار جهنم، لا سبيل له إلىٰ الخروج منها، يستمر به العذاب أبدًا؛ فهو في شقاء سرمدي، وعذاب أبدي.

قال تعالىٰ عن الكافر: ﴿ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلىٰ: ١٢، ١٣]؛ فنفي حياة الكافر الأخروية لا يُراد بها وفاته، وإنَّما هو نفي للحياة النافعة.

قال العلَّامة عبد الرَّحمن بن محمد العُليمي المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٣] حياة تنفعه».

---

(١) فتح الرَّحمن في تفسير القرآن (٧/ ٣٤٣).

ويزيد الله عَزَّوَجَلَّ الكافر بسطةً في خلقه يوم القيامة؛ ليكون أنكىٰ له في عذابه، فقد روىٰ مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للرَّاكب المجدِّ**».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ قال: «ضرس الكافر مثل أُحُد، وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام»، رواه مسلم.

وكما أنَّ الجنَّة درجات في الفضل والنعيم، فإنَّ جهنَّم دركات في العذاب والجحيم، وأشدُّ دركات النَّار عذابًا أسفلها، دركة المنافقين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

والنَّار من حيث هي فإنها في أسفل مكان، يهوي بها من خفت موازينه، قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: ٨، ٩]، قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «قيل: المراد بقوله: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩]، أي: الدَّرْكُ الأسفل من النَّار، أو هي صفة النَّار من حيث هي».

وعذاب الكافرين يزداد في دركات النَّار بأسباب تغلظ كفرهم، فمن كان داعيةً للكفر فهو أشدُّ وأغلظ عذابًا من الكافر غير الداعية، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

ونار عصاة الموحدين في أعلىٰ الدركات، يمكث فيها المسلمون بقدر ذنوبهم، فإذا نُقُّوا منها؛ خرجوا من النَّار إلىٰ الجنَّة.

والكافر الَّذي له حسنات في الدُّنيا يُخفَّف عنه العذاب يوم القيامة، كما خُفِّفَ عن أبي طالب.

---

(١) البداية والنهاية (٢٠/ ١٦١).

وقال النَّبي ﷺ: «إنَّ أهون أهل النَّار عذابًا رجل تُوضع في أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه»، متفق عليه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

موضع ونوع عذاب عصاة المسلمين في النَّار يختلف عن الكافرين، دلَّ علىٰ ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**لا يجتمع كافر وقاتله في النَّار أبدًا**»، رواه مسلم.

فالحديث يدلُّ علىٰ أنَّ المسلم الذي استحق دخول النَّار يكون في دركة غير دركة الكافر.

قال العلَّامة محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٣١١ هـ)[1]: «لا يجتمع قاتل الكافر إذا مات علىٰ إيمانه مع الكافر المقتول في موضع واحد من النَّار، لا أنه لا يدخل النَّار، ولا موضعًا منها».

والمسلم الذي استحقَّ دخول النَّار لا يُخلَّد فيها كالكافر، يمكث فيها بمقدار ما يُطهِّرُه من ذنوبه، ثم يدخل الجنَّة، ففي الصحيحين من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الله يخرج ناسًا من النَّار فيدخلهم الجنَّة**».

وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ليصيبن أقوامًا سَفْع - مس - من النَّار، عقوبة بذنوب أصابوها، ثم يدخلهم الله الجنَّة بفضل رحمته**»، رواه البخاري.

صفة عذاب عصاة المسلمين يختلف عن عذاب الكافرين، فالمسلم الذي استحق وعيد دخول النَّار، لا تصيب النَّار بدنه كله، فلا تصيب مواضع السجود منه، دلَّ علىٰ ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، فأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النَّار؛ أمر الملائكة أن يُخرجوا من النَّار مَن كان لا يُشرك بالله شيئًا، ممَّن أراد الله أن**

(١) التوحيد (٢/ ٨٣٣).

يرحمه، ممن يشهد أن لا إله إلا الله؛ فتُعرف وجوههم في النَّار بآثار السجود، فتأكل النَّار ابن آدم إلا آثار السُّجود»، رواه البخاري ومسلم.

وعصاة المسلمين الذين استحقوا دخول النَّار يتفاوتون فيما يصيبهم من مسِّ النَّار، كلٌّ بحسب جرمه، فقد روىٰ مسلم في صحيحه عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**منهم من تأخذه النَّار إلىٰ كعبيه، ومنهم من تأخذه إلىٰ ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلىٰ حُجْزَته، ومنهم من تأخذه إلىٰ تَرْقُوَتِه**».

قال العلَّامة أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرَّحمن الصَّابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ٤٤٩ هـ)[1]:

«كان شيخنا سهل بن محمد يقول: «المؤمن المذنب، وإن عُذِّب بالنَّار؛ فإنه لا يُلقىٰ فيها إلقاء الكفار، ولا يبقىٰ فيها بقاء الكفار، ولا يشقىٰ فيها شقاء الكفار».

ومعنىٰ ذلك: أن الكافر يُسحب علىٰ وجهه إلىٰ النَّار، ويُلقىٰ فيها منكوسًا، في السلاسل والأغلال والأنكال الثقال، والمؤمن المذنب إذا ابتلي بالنَّار فإنه يدخل النَّار كما يدخل المجرم في الدُّنيا السجن علىٰ الرجل، من غير إلقاء وتنكيس.

ومعنىٰ قوله: «لا يُلقىٰ في النَّار إلقاء الكفار» أن الكافر يُحرق بدنه كله، كلما نضج جلده بُدِّل جلدًا غيره؛ ليذوق العذاب، كما بيَّنه الله في كتابه في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

وأمَّا المؤمنون فلا تلفح وجوههم النَّار، ولا تحرق أعضاء السجود منهم؛ إذ حرم الله علىٰ النَّار أعضاء سجوده.

ومعنىٰ قوله: «لا يبقىٰ في النَّار بقاء الكفار»: أن الكافر يخلد فيها ولا يُخرج

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص٢٧٦-٢٧٨).

منها أبدًا، ولا يُخلِّد الله من مذنبي المؤمنين في النَّار أحدًا.

ومعنىٰ قوله: «ولا يشقىٰ بالنَّار شقاء الكفار»: أن الكفار يؤيسون فيها من رحمة الله ولا يرجون راحة بحال. وأمَّا المؤمنون فلا ينقطع طمعهم من رحمة الله في كل حال، وعاقبة المؤمنين كلهم الجنَّة؛ لأنهم خُلقوا لها وخُلقت لهم، فضلًا من الله ومنَّة».

ونصوص الوعيد التي جاءت في العقوبة بالنَّار لعصاة المسلمين، قد يتخلف موجبها عن المسلم بأسباب، منها: الاستغفار، والتوبة النصوح، والحسنات الماحية، وشفاعة الشافعين، وغيره.

ومع هذا يجب علىٰ المسلم الاستقامة علىٰ أمر الله ونهيه؛ فيكون المسلم راجيًا خائفًا ربه، يرجو رحمته ويخشىٰ عذابه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «إن العبد عليه أن يفعل المأمور ويترك المحظور؛ لأن الإخلال بذلك سبب للزوم العقاب، وإن جاز مع إخلاله أن يرتفع العقاب بهذه الأسباب، كما عليه أن يحتمي من السموم القتَّالة، وإن كان مع تناوله لها يمكن رفع ضررها بأسباب من الأدوية. والله عليم حكيم رحيم؛ أمرهم بما يصلحهم ونهاهم عما يفسدهم، ثم إذا وقعوا في أسباب الهلاك؛ لم يؤيسهم من رحمته، بل جعل لهم أسبابًا يتوصلون بها إلىٰ رفع الضرر عنهم».

والمسلم في مدارسته لنصوص الوعيد يفرُّ هاربًا من النَّار بأسباب النجاة منها، وبمداومة السير إلىٰ الله، حتىٰ يكون من الآمنين إذا جاوز الصِّراط ودخل الجنَّة.

قال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «من استقر في قلبه ذكر الدار الآخرة وجزائها،

---

(١) شرح حديث جبريل (ص٣٤٣).

(٢) طريق الهجرتين (ص٦٠٤-٦٠٦).

وذكر المعصية والتوعُّد عليها، وعدم الوثوق بإتيانه بالتوبة النصوح؛ هاج في قلبه من الخوف ما لا يملكه ولا يفارقه حتىٰ ينجو، وأما إن كان مستقيمًا مع الله، فخوفه يكون مع جريان الأنفاس؛ لعلمه بأن الله مقلب القلوب».

وقال العلَّامة أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ٢٨٧ هـ)**[١]: «الأخبار التي حواها كتابنا هذا - من ذكر الخارجين من النَّار بعد كونهم فيها، وما نالهم من أليم عذاب خالقهم بقدر ما استحقوا، ثم يُجيزُه الرءوف بفضل رحمته - أخبار ثابتة توجب العلم والإيمان بصحة ما أدَّت، والتصديق به. وإلىٰ الذي مَنَّ علينا بالإيمان والتصديق به، ووفقنا له؛ نبتهل أن يجعلنا من المتقين الذين ينجيهم منها بطوله ومنِّه، فإن أُدخلناها بجرمنا الذي استحققنا به دخولها؛ أن يجعلنا ممن تدركه رحمته فيخرجه منها، ولا يجعلنا قرناء شياطينها، ولا الكفار به الجاحدين له».

والمقصود من هذا الشرح والبيان هو وضع النصوص كلها في مواضعها، وعدم اجتزاء النصوص كما فعل الخوارج والمعتزلة؛ فالمسلم لا يُخلد في النَّار، وحسناته تُوزن مع سيئاته، فإن دخل النَّار خرج منها بعد أن يُنقَّىٰ من ذنوبه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «يؤمن أهل السُّنَّة والجماعة: أن فسَّاق المسلمين معهم بعض الإيمان وأصله، وليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنَّة[٣]، وأنهم لا يخلَّدون في النَّار؛ بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان، وأن النَّبي ﷺ ادخر شفاعته لأهل الكبائر من أمَّته».

---

(١) السُّنَّة (ص٣٧١).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ٣٧٥).

(٣) من غير أن يسبقه عذاب في النار.

هذا ملخص ما ورد في صفة جهنَّم، وليس الخبر كالمعاينة، قال تعالىٰ: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل: ١٤].

ويوم كُسفت الشمس، قال النَّبيُّ ﷺ: «**رأيت النَّار فلم أر منظرًا كاليوم أفظع**»، متفق عليه من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما.

اعتقادنا بوجود النَّار حقيقة يقيني، وعين اليقين أعلىٰ درجات العلم، قال تعالىٰ: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر: ٥-٨].

وفي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لو تعلمون ما أعلم؛ لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا، ولما تلذذتم بالنساء علىٰ الفرش**».

وأخبر النَّبي ﷺ أن العلم بالنَّار وصفتها، والجنَّة وصفتها؛ يوجب السعي بالعمل الصالح الذي يكون سببًا في دخول الجنَّة والنَّجاة من النَّار؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إنَّ سلعة الله غالية، ألا إنَّ سلعة الله الجنَّة**»، رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

قال إبراهيم التيمي رحمه الله[1]: «مثلت نفسي في الجنَّة، آكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النَّار، آكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغلالها.

فقلت لنفسي: أي شيء تريدين؟

قالت: أريد أن أُرد إلىٰ الدُّنيا، فأعمل صالحًا.

قال: فقلت: فأنت في الأمنية فاعملي».

---

(١) التخويف من النَّار (ص٦٢).

الخاتمة

علم المسلم بأحوال وأصناف الناس في البرزخ والمحشر والمبوأ السرمدي يوجب عليه العمل لذلك اليوم الآخر، فيسعىٰ في نجاة نفسه من النار ودخول الجنة.

فعناية المسلم بتأسيس اعتقاده علىٰ العلم النافع، وقيامه بالعمل الصالح؛ يجعل سيره إلىٰ الدار الآخرة علىٰ صراط مستقيم.

وسير المؤمنين إلىٰ الدار الآخرة يتفاوتون فيه بحسب يقينهم العلمي وقصدهم العملي، خير الناس في ذلك السابقون للخيرات.

العلم باليوم الآخر يوجب العمل له، فمتاع الدنيا قليل، فلا تغبن نفسك باللهو بمتاع الدنيا عن العمل للآخرة.

السعيد من أخذ حظه من متاع الدنيا الحلال، وجعله سبيلًا إلىٰ إدراك جنة الخلد، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١].

متىٰ ما كان علم المسلم يقينيًّا بحقائق اليوم الآخر سعىٰ في النجاة من النار والفوز بالجنَّة، لذلك كان الصحابة رضي الله عنهم خير الناس، فإنّهم كانوا أرغب في الآخرة وأزهد في الدنيا.

حقيقة ما يكون في اليوم الآخر صدق، لأنّها أخبار رب العالمين، فالمؤمنون صدقوا أخبار الله عزوجل، وتعبدوا لله بما شرع بما يكون سببًا في سعادتهم الدنيوية والأخروية.

الملاحدة الكفار والمبتدعة الأشرار كذبوا بأخبار الوحي، ولم يتلقوا عقائدهم من مشكاة القرآن والسنة، فضلوا في جهالات أهوائهم، وقالوا علىٰ الله وفي دين الله بغير علم.

ومن أسباب الهداية إلىٰ الحق الاعتصام بالله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ١٠١]، ومن أسبابه الإعراض عن ضلالات وشبهات الكافرين والمبتدعين، والتغذي بحقائق القرآن والاستشفاء به من معارضات الباطل، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

الله عَزَّوَجَلَّ قرَّب الساعة كأنها غد، وجعل ذلك سببًا للحث علىٰ العمل لليوم الآخر بتقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وكذلك فعل النبي ﷺ تذكرة وموعظة للمؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الحشر: ١٨]، وقال النبي ﷺ: «**الجنَّة أقرب إلىٰ أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك**»، رواه البخاري من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

العقائد الصحيحة والكلم الطيب والعمل الصالح هو الذي يبلغ بالمسلم إلىٰ جنّة رب العالمين، قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣].

ولذلك وجب علينا التواصي بالحق، بشرح عقائد الإسلام، من الإيمان بالله واليوم الآخر، وبيان الصراط الموصل إلىٰ الجنة، ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: ٧].

والحمد لله رب العالمين.

دليل المحتويات

المقدمة ٣

عقيدة الإيمان باليوم الآخر ٧

الإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان الستة ٧

ما يشمله الإيمان باليوم الآخر ٧

اعتقاد الصحابة بحقائق أخبار الوحي عن اليوم الآخر ٨

الدليل السمعي والعقلي والحسي علىٰ ما يكون في الآخرة ٩

العلم غير محصور بمدركات الحس ١٠

كفر المعتزلة بتكذيب الوحي ١٠

المعتزلة يكذبون بعذاب القبر والحوض والشفاعة ١٠

الله عَزَّوَجَلَّ قوله حق وكلماته صدق ١٠

عبيد الله بن بطة العُكبري: من كذَّب بآية

أو بحرف من القرآن، أو ردَّ شيئًا مما جاء به الرسول ﷺ؛ فهو كافر ١١

شيخ الإسلام ابن تيمية: المؤمن فارق الكفر بالإيمان بالله ورسله،

وتصديقهم فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا ١٢

إجماع الصحابة علىٰ الإيمان بحقائق اليوم الآخر ١٢

إجماع علماء الأمصار علىٰ الإيمان

بـ«الصراط، والميزان، والحوض، والحساب، والشفاعة، والبعث	١٢
الصحابة احتجوا بأخبار الوحي	
في الرد علىٰ من كذَّب بمسائل اليوم الآخر	١٤
الصحابة أكمل عقولًا وأحسن فهومًا من المبتدعة	١٥
ما يكفر به المرء	١٥
شيخ الإسلام: إذا ثبتت الرسالة ثبت ما أخبر به الرسول ﷺ	١٦
تكذيب أخبار الوحي قدح في العقل الذي شهد بصحة الوحي	٢٠
الخيال الباطل وساوس، وليست معقولات صريحة	٢٠
من الغيب ما له نظائر حسية وعقلية	٢٠
النوم يدل علىٰ الموت والبعث والنشور	٢٢
حياة القلوب بعد موتها؛ تدل علىٰ حياة النفوس وبعثها بعد موتها	٢٥
حكمة المرور علىٰ الصراط	٢٥
الحكمة في نصب الميزان	٢٦
الإيمان بالحوض دلَّ عليه العقل	٢٦
الحوض أول ضيافات الآخرة	٢٦
شدَّة الحرِّ والبرد في الدنيا مذكر بحرِّ جهنم وبردها	٣١
اليهود خير من المعتزلة في الإيمان باليوم الآخر	٣٢
القيامة الصغرى	٣٥
الوفاة: مفارقة الروح للبدن	٣٥
حياة الإنسان البرزخية والأخروية متصلة بحياته الدنيوية	٣٥

القبر أول منازل الآخرة	٣٦
الحكمة في إخفاء الله رؤية وسماع عذاب القبر	٣٦
القبور منازل مؤقتة	٣٦
المسلم إذا حضر أجله بشَّره الله بالسلامة	٣٧
الكافر في ضيق كفره وإن تلهَّىٰ بمتاع الدنيا	٣٨
يستمر الشقاء بالكافر في برزخه، ويكون يوم القيامة أشقىٰ الخلق	٣٨
القلب أنموذج يعرف به المسلم مآله في القبر	٣٩
أدلة عذاب القبر	٤١
عذاب القبر ونعيمه يكون علىٰ الروح والبدن	٤٢
فتنة القبر	٤٤
النفخ في الصور	٦١
نفخة الفزع	٦١
نفخة الصعق يموت فيها الأحياء	٦١
مقدار ما بين النفختين	٦٢
نفخة البعث والنشور	٦٥
الحشر	٦٧
تتبدل صفات الأرض والسموات بين نفختي الصعق والبعث	٦٧
الحشر بعد نفخة البعث	٦٩
يؤتىٰ الناس صحائف أعمالهم في المحشر	٨٣
مجيء الله للقضاء في عباده	٩٠

يؤمر الخلق بالسجود لله إذا جاء الله للقضاء فيهم	١٠١
الحشر إلىٰ المستقر	١٠٢
صفة سوق الكافرين إلىٰ جهنم	١٠٣
عرض الكافرين علىٰ النار	١٠٣
تمايز الخلق إلىٰ المستقر بعد الجمع للحساب في المحشر	١٠٦
الحساب	١٠٩
الحساب بالعدل	١٠٩
حساب المؤمنين	١١٠
حساب الكافرين	١١٠
صفة حساب الكافر	١١١
من يدخل الجنة بلا حساب	١١٥
حساب عرض	١١٦
من يناقش حسابه	١١٦
الحوض	١١٩
الحوض موجود الآن	١١٩
مكان الحوض	١١٩
الحوض مادته من الكوثر	١٢٠
الكوثر نهر في الجنَّة وهو من الخير الكثير الذي أوتيه رسول الله ﷺ	١٢٠
صفة الحوض	١٢٠
المذادون عن الحوض	١٢١

الميزان ١٢٣
أدلة ثبوت الميزان من القرآن والسنة ١٢٣
أحاديث الميزان متواترة ١٢٣
الإجماع علىٰ ثبوت الميزان ١٢٤
الوزن بعد الحساب ١٢٥
الميزان حقيقي محسوس ليس مجرد مثل للعدل ١٢٦
توزن الأعمال وصحائف الأعمال والعامل ١٢٦
الصراط ١٢٨
أدلة ثبوت الصراط ١٢٨
ورود الصراط والنار ١٢٩
الإجماع علىٰ ثبوت الصراط ١٣٣
إنكار الخوارج والمعتزلة للصراط ١٣٣
الشفاعة ١٣٥
الشفاعة العامة ١٣٥
الشفاعة الخاصة ١٣٦
القنطرة يتقاص عندها المظالم ١٣٩
الجنَّة ١٤٢
الجنة لا تفنىٰ ١٤٥
الجنة مخلوقة موجودة الآن ١٤٥
الجنَّة بعد سدرة المنتهىٰ ١٤٧

طيب عيش الجنَّة	١٤٨
التفكه في الجنَّة	١٤٩
نعيم الجنَّة مستمر متجدد	١٥٠
صفة المؤمنين في الجنَّة	١٥١
ينال المؤمنون كل نعيم: نعيم القلب والروح والبدن	١٥٢
الجنَّة مقببة	١٥٣
لذَّة ذكر الله	١٥٣
أبواب الجنَّة	١٥٣
نساء الجنَّة	١٥٥
شراب الجنَّة	١٥٧
ثمار الجنَّة	١٥٩
آنية الجنَّة	١٦٠
سوق الجنَّة	١٦١
المؤمنون في الجنَّة ملوك	١٦٢
لباس المؤمنين في الجنَّة	١٦٣
حلية المؤمنين في الجنَّة	١٦٤
حدائق وبساتين الجنَّة	١٦٧
بناء الجنَّة	١٦٨
منازل المؤمنين في الجنَّة	١٦٩
أفضل نعيم الجنَّة	١٧١

النار ١٧٣
نار الدنيا تذكرة بنار الآخرة ١٧٣
النار مخلوقة موجودة الآن ١٧٣
موقع النار ١٧٤
النار لا تفنىٰ ١٧٥
الموت يجعله الله كبشًا ينحر يوم القيامة ١٧٩
الدنيا تفنىٰ والآخرة تبقىٰ ١٨٠
الاستثناء في الخلود ١٨١
النار الكبرىٰ ١٨٣
تناهي حر جهنم ١٨٣
الزقوم ١٨٥
صفة أخذ الكافر إلىٰ النار ١٨٥
إحاطة النار بالكافر ١٨٦
وقود النار ١٨٧
سرادق النار ١٨٨
أبواب النار ١٨٩
فرش الكفار في النار ١٨٩
ظلال الكفار في النار ١٩٠
دخان جهنم ١٩٠
ثياب الكفار في النار ١٩٠

طعام وشراب الكفار في النار	١٩١
يجدد العذاب للكفار في النار	١٩٥
عذاب الكفار دائم أبدي	١٩٦
جهنم دركات	١٩٧
تغلظ العذاب بتغلظ الكفر	١٩٧
نار عصاة الموحدين	١٩٧
فرق ما بين عذاب عصاة الموحدين والكافرين	١٩٨
ما يوجبه العلم بصفة الجنة والنار	٢٠٠
الخاتمة	٢٠٣
دليل المحتويات	٢٠٥